بسم الله الرحمن الرحيم

المختار من الأدب الإسلامي

المختار من الأدب الإسلامي

الدكتور
أحمد محمد قدور

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٩٥١
الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقياً: فكر - س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٢٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق
الطباعة (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

المقدمة

حين دعتني جامعة صنعاء للعمل في كلية الآداب التابعة لها في مدينة تعز ، نهضت وزملائي في قسم اللغة العربية إضافة إلى الأعباء التدريسية بوضع الخطّة الدرسية ، وإعداد مفردات المقرّرات ، واعتماد المراجع الضرورية .

وكان ممّا عنيت به عناية فائقة مقرّرات الأدب القديم ونقده ، ولا سيّما الأدب الإسلامي الذي ظلمه بعضهم بدعوى ضموره أو عدم اختلافه عن سابقه الأدب الجاهلي .. إلى غير ذلك من دعاوى انصبّ معظمها على مرحلة صدر الإسلام خاصة . ورأيت حين تولّيت تدريس الأدب الإسلامي بمقرّريه : تاريخ الأدب ، ودرس النصوص ، أنّ نظرية تطوّر هذا الأدب وتجدّده يجب أن توجّه خطا الدرس جميعاً ولا سيما ما اتصل بالنصوص تحليلاً ونقداً .

وتحقيقاً لما وضعته من خطة وقصدته من غاية اخترت مجموعة من النصوص الشعرية والنثرية لتكون حاضرة بين أيدي الطلاب الذين باتوا يستصعبون الرجوع إلى المصادر ، ويشكون من غلائها أو عدم توافرها . وقد سعيت ـ فيما اخترت من النصوص ـ إلى الوفاء بالمعالم المهمّة في الأدب الإسلامي على اختلاف مناحيه مع مراعاة

الـزمن الـذي يستغرقـه التـدريس الفعلي في ظـل النظـام الفصلي المعمـول بـه في معظم الجامعات العربية .

وأملي كبير في أن يجـد طلبـة الأدب الإسـلامي معظم مـا يطلبـونـه من نصـوص شاهدة على غنى هذا الأدب في هذا « المختار » الوجيز الـذي لقي قبولاً واستحسـانـاً حين وضعت أصولـه بين أيـدي طلبتي في اليمن الـذين بسببهم كان هـذا العمـل الـذي إليهم يهدى .

والله الموفّق

حلب في ٣٠ من آذار لعام ١٩٩٣ م

د. أحمد محمد قدّور
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب / تعز

تمهيد

في دراسة النصوص ونقدها

هذه جملة من الاختيارات الأدبية التي تمثّل صورة عامة للأدب في العصر الإسلامي . وقد روعي فيها أن تكون معبّرة عن مراحل الأدب الزمنية من جهة وعن اتجاهاته الموضوعية من جهة أخرى .

فالعصر الإسلامي كما هو معروف يضمّ مراحل زمنية تبدأ مع البعثة النبوية ولا سيّما بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، وثوران التهاجي بين شعرائه من جهة ، وشعراء قريش المشركين من جهة أخرى . وتنتهي هذه المرحلة بانتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى . ويطلق على هذه المرحلة مصطلح عصر الرسول . ثمّ تبدأ مرحلة أخرى مع خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وتنتهي باغتيال عليّ رضي الله عنه والتسليم لمعاوية بالخلافة . ويطلق على هذه المرحلة عصر الخلفاء الراشدين . وكثيراً ما تُجْمَع المرحلتان معاً تحت مصطلح واحد هو عصر صدر الإسلام .

أما المرحلة الثالثة فهي ما يطلق عليها عادة العصر الأموي ، وتبدأ حوالي سنة ٤٠ للهجرة وتنتهي عند سنة ١٣٢ هـ ، وهي السنة التي انتهت فيه دولة بني أمية وقامت على أثرها دولة بني العباس .

ويبدو أن قصر بعض تلك المراحل زمنياً وتشابه عناصرها بعضها ببعض جعل الكثير من الباحثين يميلون إلى اعتبارها عصراً واحداً مع مراعاة الفروق التي لا بدّ أن تظهر بين مرحلة وأخرى ، أو بين اتّجاه وآخر . وعلى هذا جرينا في هذه المختارات إذ جعلناها ممثّلة لعصر واحد هو العصر الإسلامي ، لِما لوحظ من سمات عامة مشتركة تطبع هذا العصر بكامله .

وقد جعلت هذه المختارات في فصلين : خُصّص الأولُ منها للنصوص الشعرية ، على حين خُصّص الثاني للنصوص النثرية . وقد راعيتُ في الكثير من المواضع ضمّ الأشباه والنظائر . فقد بُدئت النصوص الشعرية بقصدة لحسّان ثم بنصّ لكعب ، وهما من المخضرمين الذين مثّلوا ولا سيّما حسان مرحلة عصر النُّبوة ، ثم أثبَتُّ نصوصاً لشعراء العصر الراشدي كأبي محجن وعمرو بن معديكرب والقعقاع والحطيئة وسحيم . وعرضت بعد ذلك نصوصاً لِشعراء من العصر الأموي كان في مقدّمتهم شعراء النقائض ، ثمّ شعراء السياسة المعارضون للأمويين كالكميت والطّرماح وابن قيس الرقيات . وختمتُ النصوص بثلاث قصائد غزلية لعمر وجميل وكثيّر . وواضح أنّ هذا الترتيب يراعي الزمن غالباً ، كما يراعي الاتجاهات الموضوعية دائماً .

أما النصوص النثرية فقد بدأتها بخطبة الرسول ﷺ في حجّة الوداع ، وهي خطبة ذائعة الصيت ، ثم اخترت خطبة قصيرة لأبي بكر يوم السقيفة ، وخطبة شهيرة للإمام عليّ في الجهاد ، وأثبتُّ بعد ذلك رسالة لعمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في أصول الحكم وهي أثر نثريّ مهمّ فنيّاً وموضوعيّاً . وأتبعت ذلك بنصّين من خطبتَيْ زياد والحجّاج ، وهما من أشهر الخطب السياسية في العصر الأموي . وأنهيت هذه النصوص بخطبة شهيرة لأبي حمزة الخارجي .

ومن الواضح أنّ الكثير من هذه المختارات تداوله معظم المناهج المدرسية والجامعية الحديثة ، إضافة إلى أنّ بعض كتب القدماء ضمّت أشياء من هذه المختارات . وهذا دليل على إجماع الآراء على جودة ما اختير وأهميته . ولا شكّ في أنّ ذيوع هذه المختارات وغيرها ـ فنصوصنا هنا غيض من فيض ـ في هذا العصر أكسبها حضوراً زمنياً وتأثيراً فنيّاً تجلّى في استخدام عناصرها وتداخل موضوعاتها في الشعر العربيّ الحديث من خلال شكال متعدّدة كالمعارضة والاقتباس والرمز والتناصّ وغير ذلك .

وقد بذلت على الرغم من ضيق الوقت جهداً كبيراً في اختيار النصوص وضبطها

ضبطاً دقيقاً ، وشرح مفرداتها شرحاً مناسباً مستعيناً بالدواوين وكتب الاختيار والمعاجم . وكنت أضع نصب عيني أنّ هذه النصوص وضعت تلبية لحاجة الطلاب وهم توّاقون دوماً ولاسيّما في ضوء المناهج الجامعية الراهنة إلى تلقّي المعرفة جاهزة لا تحتاج إلى بذل أيّ عناء أو ممارسة أيّ تدريب حقيقي في المصادر الأصلية .

ورأيت أن أثبت ترجمات موجزة لأصحاب النصوص لإعطاء لمحات عن حيواتهم واتجاهاتهم وهي لا تغني عن مطالعة المراجع التي اهتمّت بدراستهم أو الرجوع إلى المصادر والدواوين الأصلية التي حوت آثارهم .

* * *

يحسن بنا ونحن نقدّم لهذه النصوص أن نشير إلى أهمّ معالم الدراسة النقدية بحدودها المدرسية . إذ لا مناص مع اختلاف المناهج النقدية وتعدّد طرق تحليل النصوص الأدبية من تعريف القارئ ولا سيّما الطالب ببعض الجوانب الرئيسة التي تعرض لها معظم الطرق الدرسية التي تتناول النصوص بالتحليل والنقد .

ولا بدّ من الإقرار بداية بقصور أيّ طريقة مقترحة عن الوصول إلى درجة المنهج الصارم الذي يصلح لتحليل جملة متعدّدة من النصوص مع تباين سماتها وتعدّد مذاهبها . ولذلك بات ضرورياً تعديل الخطة التي يعتمدها الدارس عادة ، أو الاجتزاء بجانب أو أكثر من جوانبها أمام تباينات النصوص .

لقد صار من المبادئ المقرّرة في هذا الصدد أنّ لكلّ نصّ مفتاحه الخاصّ الذي يتيح للدارس دخول عالمه وكشف أسراره . فنصّ مفتاحه لغته ، وآخر مفتاحه صوره ، وآخر مفتاحه إيقاعه .. وهكذا دواليك . ومفتاح النص هو أبرز الخصائص التي تسيطر على مكوّناته الموضوعية والفنية .

والدراسة النقدية التي نقترح ، تشمل ثلاث مراحل متتالية ، تبدأ بالتعريف ثمّ بالتحليل ثمّ بالتقييم .

أ ـ فالتعريف يتناول الإطار الخارجي للنصّ المدروس ، ويوضّح علاقة النصّ بالعصر الذي ينتمي إليه ، والبيئة التي ولد فيها . كما يبيّن الملامح الرئيسة لمذهب صاحب النص عامة ، ويحاول الوقوف على العلاقة بين النص وصاحبه خاصةً . ولا بدّ من تعرّف الدارس مناسبة النص إن كانت له مناسبة خاصة مباشرة ، كأن يكون النصّ وليد حادثة معينة أو نتاج ظروف محدّدة . فإذا لم تكن للنص مثل هذه المناسبة المباشرة فتّش الدارس عن أشياء أخرى في حياة صاحب النص تصلح تفسيراً لولادة النص على وجه التقريب . وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل ما ذكر يشكل إطاراً واحداً تتعاون عناصره على وضع النص في المرحلة التالية .

ولمّا كانت هذه الدراسة المقترحة تُساق للمبتدئين من الطلبة الجامعيّين ومن في حكمهم فلا بدّ من احتساب مرحلة إضافية تلحق بمرحلة التعريف ، وهي مرحلة الشرح الذي يقدّم فيه المدّرس دلالات النص اللغوية موضّحة بالقدر المطلوب لتواصل الطلبة مع النص واقترابهم من مكوّناته . وتغدو مرحلة الشرح ضرورية ولازمة حين تكتنف بعض النصوص غرابة ،جرّاء البعد الزمني الفاصل بين عصر النص ، والمتلقين . أو يعتريها غموض بسبب طبيعة العمل الإبداعي القائمة على التوغّل في البنية التاريخية للغة ، واصطناع الأساليب المجازية والتصويرية البعيدة عن المألوف عادة . أو يمسّها انقطاع لغوي وحضاريّ عن ثقافة المتلقين ، لأنها ـ أي النصوص ـ ليس لها أدنى صلة بهؤلاء المتلقين ، إذْ هي نصوص منقولة نقلاً عن تجارب الآخرين .

ب ـ والتحليل يتناول الإطار الداخلي للنص . فعلى حين توضّح المرحلة السابقة ملابسات النص وتُوقف على دلالاته اللغوية المباشرة ، تسعى هذه المرحلة إلى الكشف عن بنية النص وتحليلها وبيان مرامي النص ودلالاته العميقة .

ومن المعروف أنّ بناء النص الأدبي يقوم على جملة من العناصر التي لا بدّ من

تعرّفها ودرسها وبيان وظائفها . وهذه العناصر هي : **الموضوع واللغة والأسلوب والإيقاع** .

١ ـ فالموضوع : هو أفكار النص التي نسجها المبدع شعراً أو نثراً على اختلاف فنونها . والموضوع لا يؤثر بحدّ ذاته في النص سلباً أو إيجاباً ، أي أن عظمة الموضوع وسموّ أفكاره لا يرفعان من قيمة النص إن كان هشّ البناء ، ضعيف الإيحاء ، شحيح الماء . وبالمقابل نجد أن ابتذال الموضوع وبساطة أفكاره لا يجعلان النصّ منحطّاً ، ما دام التعبير فنياً مستوفياً شروط العمل الإبداعي . ومن الأدلة على ما نذكر إجادة عنترة الشاعر العربي القديم في وصف الذباب إجادة فائقة على الرغم من أن الذباب حشرة لا يؤبه بها[1] . فالموضوع ليس الغاية التي يقصدها الدارس والناقد . لأن أكثر الموضوعات أمور مطروحة للناس يتداولونها في حياتهم بأساليب مختلفة . ومن هنا لا يمكن الزعم أنّ هذا الموضوع موضوع فنيّ يصلح أساساً للتناول ، وأنّ ذاك الموضوع موضوع مبتذل لا يصلح لذلك التناول . إنّ مدار الأمر هو طريقة ائتلاف العناصر المكوّنة للنص ، أو بعبارة أخرى : نسيج النص وصناعته .

وحين يعرض الدارس للموضوع يبيّن حدوده وأقسامه ، أي أفكاره الجزئية . ويوضّح مدى ارتباط الموضوع بالعصر الذي ولد فيه النص وغير ذلك من عناصر المقام . ويتعرّف طريقة تنظيم الأفكار في النص ، وتسلسل ورودها فيه أو عدمه .

ومن الممكن في هذا السياق تطبيق تقنية الكلمات المواضيع (Mots Thémes) بحدودها الأولى . إذ تُكشف الأفكار النصية من خلال إعداد قوائم لكل مجموعة من المفردات التي تشكل موضوعاً محدّداً . مثال ذلك جمع المفردات الدالة على الفخر والعظمة في إحدى قصائد المتنبي ، وجمع المفردات الدالة على التكسّب أو التذلّل في القصيدة نفسها ، وجمع مفردات أخرى تشكّل موضوعاً آخر ، ثمّ تجري مقارنة ما تمّ جمعه واستخلاص دلالاته ومراميه . وتتيح هذه العملية المبسّطة تجاوز حدود الموضوع الذي

(١) انظر وصفه الذباب في معلقته ضمن شرح القصائد العشر للتبريزي ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦

يعنون به النص عادة إلى كشف الموضوع الأعمق الذي يختلج في قلب المبدع ويسيطر على إبداعه واعياً لذلك أو غير واعٍ . وقد يجد الدارس من خلال الطريقة السابقة أشياء مهمّة إذ قد لا يمثّل موضوع القصيدة أو النص الأساسي شيئاً ذا بال عند الشاعر أو المبدع ، فهو على الرغم من أنه يمدح ـ كمديح المتنبي الأمراء والملوك ـ معنيٌّ بشخصه ومجده عناية تسيطر على القصيدة كاملة . ومن الأمثلة على ذلك إضافة إلى ما سبق ما لوحظ في معظم أشعار صلاح عبد الصبور الشاعر المحدث من سيطرة موضوعات الحزن على سائر الموضوعات اعتماداً على طريقة المفردات المشكّلة للموضوعات . فالشاعر لا يني يلهج في أشعاره ولا سيّما ديوان « الناس في بلادي » الذي طبّقت عليه الطريقة السابقة بموضوعات الليل وما يتصل به كالدجى والعتمة والمساء ، والحزن وما يتعلق به كالكآبة والعذاب وعدم الابتسام ، والموت والقبر والعدم ونحو ذلك . والجدار والسّور والحجر وما شابهها . ثمّ إن الشاعر حين يذكر مفردات تدلّ على النور والصباح والفجر والولادة يسوقها في مجال الحزن نفسه ، إذ يغدو الصباح معركة تخاض من الجراح إلى النواح ، ويغدو النور سلاحاً أو زلزالاً[1] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ أكثر الطرق المدرسية المهتّمة بدراسة النصوص تعنى بالعاطفة ، وهي تعبير عن الطريقة النفسية التي قدّمت من خلالها أفكار النصّ خاصة وسائر جوانبه عامة . لذلك لا بأس من تعرّض الدارس لملامح العاطفة البارزة في النصّ واقفاً على مبعثها من حادثة أو ذكرى أو غاية . ومبيّناً مجالها فردياً كان أو جماعياً أو قومياً أو إنسانياً . وموضحاً شكلها قوّة وعمقاً وتأثيراً أو ضعفاً وسطحية وعدم تأثير . ومن الممكن وصف الطوابع العامة للعاطفة والاكتفاء بذلك إذا لم يكن في النّص ما يدعو إلى التفصيل والتدقيق . فقد يُوصف النصّ بتمامه بأنه ذو طابع حزين ، أو متفائل ، أو ثائر ، أو هادئ ، أو غَزَلي تنبعث منه مشاعر الحبّ أو تطلّ منه شهوات الجسد ... إلى غير ذلك .

---

(١) انظر : صلاح عبد الصبور ، الناس في بلادي ، دار العودة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢ ، ص ٢٣ ـ ٦٦

٢ ـ واللغة : هي أساس بناء النص ، لذلك ينبغي الاهتمام بتحليل عناصرها تحليلاً دقيقاً . ويلاحظ في هذا الصدد أنّ عدم الاهتمام بالبناء اللغوي للنصوص يقود إلى تسطيح العملية النقدية واختصارها إلى مجموعة من الأفكار والموضوعات التي لا يُتوقّف عند أشكالها وطرق بنائها بقدر ما يُتوقّف عند مراميها الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية الأيدولوجية . ويؤدي هذا إلى الاستهانة بأدبية النصّ (Littérarité du Texte) ، أي بالذي يجعل من النص أدباً يختلف عن الكلام الجاري .

وعلى النقيض ممّا سبق يلاحظ أن الاستفادة من المعطيات اللغوية تقلّل من المزالق التي يقع فيها عدد من الدارسين الذين يكتفون بالوجهة المضمونية الخالصة من غير التفات إلى البناء اللغوي الذي يشكل نسيج النصّ الجدير بالاعتناء .

ويمكن النظر إلى بناء النص اللغوي في سياق الإجراء الدرسي من ثلاثة مستويات ، هي البنية الإفرادية والبنية التركيبية والبنية النصية .

فالبنية الإفرادية تتناول المفردات مأخوذة من تراكيبها للنظر فيها فرادى ولا سيما في المرحلة الأولى . ولا بدّ هنا من التوقّف عند المعنى المعجمي وتطوّره وربطه بالزمان والمكان والفنّ الأدبي والمبدع إن أمكن . ثم ينظر في ملاءمة المفردات للموضوعات التي يتضمّنها النصّ المدروس حتى يُعرف مدى التئام عناصر النصّ أو عدمه . ولا يكتفي بالاستعانة بالمعجم لإيضاح معاني المفردات ، لأن المعجم يقدّم المعاني السكونية العامة على حين أن النصوص تغيّر في الكثير من المعاني بسبب السياق الذي تضعها فيه . ويتناول درس البنية الإفرادية إضافة إلى موضوع تحديد الدلالة وتطوّرها وبيان سياقها موضوع العلاقات الدلالية بين المفردات ، فيوضّح التقارب بين مفردة وأخرى من جهة المعنى أو التباعد ، كما يوضّح مقدار المعنى المشترك بين هذه المفردة وتلك . ولا بأس من بيان ما ينتمي من المفردات إلى الرصيد المشترك للغة ، وما ينتمي إلى الرصيد الفني المتداول في دائرة ذات اختصاص إبداعيّ أو حرفي ، وما ينتمي إلى دائرة المبدع الخاصة .

أما البنية التركيبية فتضمّ الجمل التي لا يكون كلام بدونها . ويستحسن قبل النظر في أشكال الجمل التوقف عند أقسام الكلام الصرفية وتصنيفها بقدر ما هو معين على خدمة الدراسة بكاملها . فمن الممكن الإشارة إلى عدد الأسماء الواردة وأنواعها وصيغها الاشتقاقية وبيان دلالة ذلك . كما يمكن الإشارة إلى عدد الأفعال وأنواعها وصيغها واشتقاقها وزمنها . ويمكن أيضاً أن يشار إلى أنواع الصلات والتوابع والمتعلّقات المكمّلة للجمل . أما أنواع الجمل الاسمية والفعلية والشرطية وأزمنة الأفعال النحوية وما شابه ذلك من عناصر البنية التركيبية ، فإنها تتيح فهماً للمعنى النحوي وطريقة أدائه وصلته بمبدعه . وليست العناصر السابقة لازمة لتحليل البناء وحده ، بل هي نفسها عناصر الأسلوب ومادة التصوير ووسائل التأثير .

وتضّم البنية النصية الأثر المدروس كاملاً ، فالنصّ مهما صغر حجمه أو كبر[1] يشكل وحدة مستقلة هي نتاج تفاعل البنى الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . وينظر هنا في ملامح النصّ عموماً لبيان أوجه التشابه والتكامل أو التضادّ والتنافر بين عناصر النص . كما يُنظر في مدى الترتيب والتنسيق أو عدمه ، ومقدار توازن الموضوع والبناء ، وسمات النصّ من الناحية اللغوية كأن يكون مكوّناً من الجمل البسيطة التي يرتبط بعضها ببعض عن طريق العطف ، فيكون من ذلك تراصّ وتواز ليس فيه تعقيد أو تداخل أو تقديم وتأخير . ويلاحظ أنّ توازي الجمل (Parataxe) يولّد المعنى مقسّماً ومباشراً وسهل التلقي . أو يكون النصّ مكوّناً من جمل متداخلة معقّدة تتصف بالترابط (Hypotaxe) الطويل مع تداخل عناصر أسلوبية كالاستثناء والحصر والاعتراض والتوكيد والشرط ونحو ذلك . وتولّد الطريقة الثانية هذه المعانيَ متداخلة

---

(١) يشمل مصطلح نصّ (Texte) كلّ ما هو معيّن أو محدّد لغاية ما ، وإن كان كلمة واحدة أو مجموعة من الكلمات ، أو ما هو أوسع من ذلك بكثير . انظر بحثنا : التناص ، الظاهرة وإشكالية المنهج ، مؤتمر النقد الأدبي الثالث لجامعة اليرموك ، إربد ، ٢٤ ـ ٢٦ تموز ١٩٨٩ م .

وعميقة ومعقّدة . ويلاحظ أنّ أنواع التعبير الراقي عقلياً تسلك هذه الطريقة ، كما في الفكر والفلسفة والعقائد والبحوث العلمية والدراسات اللغوية والنقدية العميقة .

٣ ـ والأسلوب : هو الطريقة التي سلكها المبدع في إحكام نسجه للنصّ وتقديمه كلاً متكاملاً متلاحم الأجزاء . ويضمّ الأسلوب في طريقة الدرس هذه مهارات مستمدّة من البلاغة العربية بفروعها : البيان والمعاني والبديع ، ومن البلاغة الأجنبية ولا سيّما تقنية الصورة الفنية ، ومن الأسلوبية والمدارس النقدية المعاصرة .

ويستحسن حين الإجراء النقدي توضيح مفهوم الحقيقة والمجاز لغوياً وبلاغياً وصولاً إلى خصائص الأسلوب الدلالي الجاري في النصّ . ثمّ تكشف أنماط البيان الواردة في النص كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وتشرح وتُبيّن وظائفها (ورودها للتعبير أو للتزيين) ، وتوضّح جدّتها أو قدمها ، وعمومها أو خصوصها . ويمكن التوقّف بعد ذلك عند دلالات التركيب النحوي وأغراضه وتحديد مرامي الأساليب النحوية المستعملة ، فينظر مثلاً في التقديم والتأخير ـ إضافة إلى أنه ظاهرة لغوية تسهم في بناء النص وإعطائه سماته اللغوية ـ إلى أغراضه ومدى بلوغه مراميه . وكذلك يكون النظر في الفصل والوصل وضروب الجمل خبرية كانت أو إنشائية ، وسائر الأساليب النحوية . إنّ أهم ما يجب مراعاته في هذا الصدد هو أنّ الظواهر البلاغية والأسلوبية البارزة في النص هي التي تستحقّ الدرس وحدها ، إذ لا فائدة من وضع قائمة من فنون البلاغة وضعاً مسبقاً ثمّ محاولة البحث عن أمثلة لها مهما كان البحث متكلّفاً ، أو الأمثلة من النص متصيّدة ، أو الاستدلال عامّاً لا يقدّم شيئاً في خصوصية النص أو يؤخّر .

وإذا كان النصّ المدروس حديثاً ساغ عندئذ تطبيق تقنية الصورة الفنية بأشكالها وأنماطها المعروفة في دراسات الصورة الحديثة[1] . كذلك يسوغ تطبيق تقنية الرمز

---

(١) انظر للتوسع : نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، دمشق ، ١٩٨٢ م .

والأسطورة تطبيقاً واسعاً ولا سيما في النصوص الأدبيـة المعـاصرة . ومن الممكن إذا كان في النصّ مـا يـدعو إلى البحث عن علاقـاتـه بـالنصوص الأخرى تحليل البنـاء النصّي أو تشريحه على طريقة التناص (Intertexte) ، ويمكن هنا أن يشـار إلى أشكال متعـدّدة تظهر حين التحليل التناصّي كالاقتباس والتضمين ـ وهمـا من الأشكال البلاغيـة العربيـة القديمة ـ والمعارضة ونحوها كالتأثير غير الجليّ أو الاحتذاء . ولا بدّ من ملاحظـة الملامح النقدية الحـديثـة في هـذا الـدرس وتمييزهـا من أشكال قريبـة منهـا كموضوع السرقـات الشعرية الذي درس ضمن أُطر نقدية سيطر عليهـا الصراع بين القـديم والجـديـد أي بين تيـاري الطبـع والصنعـة كما عرضتـه كتب النقـد العربي القـديم . إن أغراض استحضـار النصوص القديمة صـارت من الكثرة بمكان ، إذ قلّ أن نجـد شـاعراً محـدثـاً لم يعزف على قيثارة تلك النصوص ولم يتوسّل بشياتها ، مع اختلاف الطرق وتعدّد الغايات .

وليس مطلوباً تطبيق كلّ هذه العناصر والملامح الأسلوبيـة ، إذ لا بـدّ من مراعـاة خصائص كلّ نصّ زمنياً وفنياً ، فيختار لهذا النص من الطرق ما لا يختار لـذاك . ثمّ إنّ هـذه الجـوانب ليست إلا إمكانـات للنفـوذ إلى النصّ يستخـدم منهـا مـا كان مـلائمـاً وضرورياً . ولا حاجة إلى التكلّف في تطبيق ما لا داعي له من النصّ نفسه .

٤ ـ والإيقـاع : عنصر مهم من عنـاصر أدبيـة النصّ شعراً كان أو نثراً . وقـد جرى الإلحاح على هذا العنصر في التراث النقدي القديم وجعلـه فيصلاً بين فنّي الشعر والنثر . غير أن الدراسات النقدية الحديثة أخذت تهوّن من أمر القسمة القديمـة للكلام الأدبي بين شعر موزون ونثر مرسل ، وتشدّد على احتساب منطقة وسطى تظهر من تـداخل الشعر والنثر وتضمّ النظم الذي لا شاعرية فيه ، والنثر الموقّع . ويمكن جعل مـا يـدعى الآن بـ « قصيدة النثر » ضمن هذه المنطقة التي يصطلح فيها الضدّان .

ومن المعروف أن الخليل بن أحمد اكتشف أوزان الشعر العربي وتوصّل إلى تدوينها وترسيخ قواعدها فيما عرف بعلم العروض . وكما تحوّلت البلاغة العربية القديمة إلى مجموعـة

من القواعد الثابتة ذات الأمثلة المحفوظة المكرّرة صار العروض غاية تقصد حتى بَعُدَ ما بين الشعر والعروض من مسافة . والذي أراه في هذا الصدد هو أنّ العروض إجراء علمي كشف القواعد الصوتية للأنماط النغمية الموسيقية التي يجري عليها الشعر العربيّ . وهو بمجمله إنجاز علمي كبير وابتداع خليليّ فائق . لكنّ استخدام العروض في التطبيق النقدي ينبغي أن يعود إلى محاولة كشف الأنماط النغمية للشعر المدروس عن طريق القراءة الموقّعة بأشكال متعدّدة من السرعة والبطء . وهذه الأنماط النغمية هي التي تستحضر في روع المبدع حين يبدع ، ولذلك هي أقرب إلى روح النص من أيّ إجراء آخر كاصطناع تقنية التفعيلة والبحر إو الإغراق في عدّ الزحاف والعلل ونحو ذلك ممّا تعنى به دروس العروض في أشكالها المدرسية[1] .

إذن هناك بحث عن « موسيقا » النص الشعري لا عن عروضه ، لأن عروضه شكل درسي منته ، أما موسيقاه فضروب من الإيقاع الذي يبدأ من الصوت والحرف والبناء والتركيب والشكل . أما الصوت فهو الصائت (voyelle) القصير أو الطويل ، كالضمة والكسرة والفتحة ، والواو والياء والألف . فالأصوات المتماثلة تحدث إيقاعاً معيناً حين تكرارها . كذلك يحدث تكرار الحروف أي الصوامت (Consonnes) إيقاعات أخرى تأتلف مع الصوائت عادة . مثال ذلك ما نراه في قول أبي تمّام :

تـــــدبير معتصمٍ بـــــــالله منتقمٍ لله مرتقبٍ في الله مرتغبِ

فهناك في الشطر الأول : م + كسر (معتصم) / م + كسر (منتقم) — م

وفي الشطر الثاني : ب + كسر (مرتقب) / ب + كسر (مرتغب) — ب

وفي الشطرين معاً تقارب صوتي بين الميم والباء لأنهما حرفان (صوتان) من

(١) انظر للتوسع ما كتبه عبد الملك مرتاض حول الصوت والإيقاع في كتابه : بنية الخطاب الشعري ، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ، ١٩٩١ م .

الحروف الشفوية . ويحدث تكرار الأصوات دون الحروف إيقاعات خاصة كما سبقت الإشارة . ومثاله في قول إمرئ القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً   كجلمود صخر حطّه السيل من علِ

وذلك في تكرار الكسر مع التنوين في : مقبلٍ ومدبرٍ ، مع ملاحظة التقارب بين اللام والراء ، إذ هما حرفان ذلقيان . أما (مكرٍّ ، مفرٍّ) فهما من النوع الآخر الذي يتكرر فيه الحرف والصوت معاً .

ويقدّم البناء الصرفي إيقاعاً آخر مساعداً على تشكيل الشكل الإيقاعي الداخلي للنصّ . فلنعد إلى (مكرٍّ ومفرٍّ) لنجد البناء فيهما واحداً أي أنّ :

مِكرّ = مفْعَل .

مفَرّ = مِفْعَل .

كذلك نجد في مقبلٍ ومدبرٍ ، إذ هما أيضاً من بناء واحد مكرّر :

أي أنّ : مُقبل = مُفْعِل

مُدْبِر = مُفْعِل

كذلك الشأن في أمثلة بيت أبي تمام السابق : (معتصم ومنتقم) = مفتعل ، و(مرتقب ومرتغب) = مفتعل ، مع زيادة في تكرار الحروف والاقتراب من تطابقها ماعدا الغين التي خالفت القاف . وهناك شكل آخر من الإيقاع الداخلي الذي تولّده التراكيب النحوية حين تتساوى عناصرها مصحوبة بإيقاعات صوتية وصرفية أو غير مصحوبة . ولننظر في الإيقاع الذي يولّده تساوي جملتي : جاء الحقُّ وزهق الباطلُ في قوله تعالى : ﴿وقلْ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كان زهوقا﴾ على الرغم من أن الحرف المولّد للإيقاع مختلف والبناء الصرفي غير متفق . لكنّ توافق بناء الجملتين وابتداء كلّ منهما بفعل ماض له وزن واحد مكرّر هو (فَعَل) هو الذي ولّد الإيقاع مع مشاركة صوت الضمّ في (الحقُّ) و (الباطلُ) .

ويطول بنا الكلام إذا سقنا المزيد من الأمثلة . لذلك نكتفي بما أوردنا على أن يكون طرقاً من التحليل لا أمثلة وشواهد للحفظ . وهدفنا من ذلك وضع اليد على جوانب من الإيقاع لم يكن يحسب لها أيّ حساب . وغنّي عن القول أن هذه الإيقاعات جميعاً لا تخصّ الشعر وحده ، بل هي موجودة في ضروب النثر الفني ، وما أكثر أمثلتها في الأحاديث النبوية الشريفة والأمثال القديمة والخطب السياسية والعقائدية والمقامات ونحوها من فنون النثر الأدبي الرفيع . أما الشكل العام للإيقاع ، أي ما دعوناه بالنمط النغمي فأظهر ما يكون في الشعر العمودي القائم على مجموعة من التفعيلات المتساوية . وهذا الشكل هو الذي يعبر عنه علم العروض بالبحر[1] .

ج ـ التقييم وهو المرحلة الأخيرة من مراحل الدراسة النقدية على النحو الذي وصفنا آنفاً . والدارس هنا مسوق للإدلاد برأيه في النصّ الذي درس ، إذ تكون قد تكشّفت له جوانبه وتوضّحت معالمه . ولا بدّ من هنا من وضع النصّ في مكانه المناسب ضمن نصوص المبدع ، وبيان دوره ـ أي النص ـ فنياً ، إن كان له ذلك الدور أو اجتماعياً أو غير ذلك من الأدوار الوظيفية . ويستحسن لغايات تعليمية النظر في مزايا النص أي ملامح التفوّق فيه مقارنة مع مهاوي النص أي المواضع التي قصّر فيها وانحطّ عن مستواه إن كان يغلب عليه التفوّق . كما يستحسن تدريب الدارسين على تحسّس بعض المعايير الجمالية السائدة في العصر الذي وَلِد فيه النصّ ، ومعرفةُ مدى تغيّرها بفعل عوامل الزمن وتطوّر الحياة والفنّ . ومن المرجو ألاّ يُؤْخذ كلّ ما يبحث ضمن هذه المرحلة على أساس أنه حكم قاطع على النص لا يقبل تراجعاً ، إذ دون ذلك صعوبات لا تذلّل ، لأن النصّ الأدبي محتمل للقراءة المتعدّدة والمتجدّدة أبداً بتعدّد المتلقين وتجدّد القراءات واختلاف وجهات النظر ومستويات الدرس اتساعاً وعمقاً .

(١) لا بد من التفريق بين النمط النغمي الذي يُعبّر عنه بمصطلح البحر عروضياً ، وتلك الأشكال من الإيقاع الداخلي ، إذ يمثل النمط = البحر شكلاً صوتياً صرفاً قائماً على الحركة والسكون فقط ، على حين أن الإيقاع الداخلي شيء مرتبط بالأصوات وأشكال بنائها وتكرارها وعدد عناصر الجمل وعامل معانيها أو اختلافها .

الفصل الأول

النُّصوص الشعرية

- ١ -

قالَ حسّانُ رضي الله عنه[☆] يمدحُ المصطفى ﷺ وذلكَ قبلَ فتح مكّةَ ، ويهجو أبا سفيان[١] « وكان هَجا النّبيَّ ﷺ قبلَ إسلامه » :

١ - عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواء ... إلى عذراءَ منزلُها خَلاءُ
٢ - ديارٌ من بني الحَسْحاس قفرٌ ... تعفّيها الروامسُ والسماءُ
٣ - وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ ... خلالَ مروجها نَعَمٌ وشاءُ
٤ - فَدَعْ هذا ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يؤرّقني إذا ذهبَ العِشاءُ
٥ - لِشعثاءَ التي قد تيّمتهُ ... فليسَ لقلبهِ منها شِفاءُ
٦ - كأنَّ سبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مزاجُها عسلٌ وماءُ
٧ - على أنيابها أو طعمَ غضٍّ ... من التفّاحِ هصّره الْجَناءُ
٨ - إذا ما الأشرباتُ ذُكِرْنَ يوماً ... فهنَّ لطيبِ الرّاحِ الفِداءُ
٩ - نولّيها الملامةَ إنْ أَلَمْنا ... إذا ما كانَ مغثٌ أو لِحَاءُ[٢]
١٠ - ونشربُها فتتركنا ملوكاً ... وأُسْداً ما ينَهنهنا اللقاءُ[٣]

(☆) هو حسّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي . ولد في يثرب (المدينة المنورة) قبل ميلاد الرسول ﷺ بنحو ثماني سنين ، وشبَّ في بيت كريم مصرفاً إلى الشعر واللهو . مدح ملوك الغساسنة واتصل بالمناذرة . دخل الإسلام وسنة ستون سنة ، وصار شاعر الرسول الذي يردُّ هجيات القرشيين المشركين ، وحظي بالتقدير حتى توفي نحو سنة ٥٤ هـ في خلافة معاوية .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم سيّدنا رسول الله وأخوه من الرضاعة . كان من الشعراء المطبوعين ، وكان في جاهليته يؤذي السيّد الرسول ويهجوه ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

(٢) يقول إن فرط منا من جرّاء شراب الراح ما نلام عليه ونجم بيننا شرّ وسباب أحلنا على الراح اللوم ، وهذا شأنها .

(٣) النهنهة : الكف . تقول نهنهت فلاناً إذا زجرته فتنهنه أي كفّ وامتنع كأن أصله من النهي . قالوا : وهذا البيت آخر ما قاله حسّان من هذه القصيدة في الجاهلية . قال مصعب الزبيري : كان حسّان قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية ثم أكملها في الإسلام من عند قوله : عدمنا خيلنا إن لم تروها .

١١ ـ عَـدِمْنـا خيلنـا إن لم تَروْهـا تثير النقعَ مـوعـدُهـا كَـدَاءُ
١٢ ـ يُبـارين الأعنّـةَ مُصعِـداتٍ على أكتـافهـا الأسَـلُ الظِّماءُ
١٣ ـ تظـلُّ جيـادُنـا مُتَمطِّراتٍ تُلطِّمهنَّ بـالْخُمُر النسـاءُ(1)
١٤ ـ فـإمّـا تَعرضـوا عنـا اعتمرنـا وكانَ الفتـحُ وانكشفَ الغِطـاءُ
١٥ ـ وإلاّ فـاصبروا لجِـلادِ يـومٍ يُعـزُّ اللهُ فيـه مَنْ يَشـاءُ
١٦ ـ وجبريـلٌ رسـولُ اللهِ فينـا وروحُ القـدس ليسَ لـه كِفَـاءُ(2)
١٧ ـ وقـالَ اللهُ قـد أرسلتُ عبـداً يقـولُ الحـقَّ إنْ نفـعَ البـلاءُ(3)
١٨ ـ شَهِـدْتُ بـه فقومـوا صـدِّقـوه فقلتم لا نقـوم ولا نشـاءُ
١٩ ـ وقـال اللهُ قـد سيَّرتُ جُنـداً هم الأنصـارُ عُرْضَتُهـا اللقـاءُ(4)
٢٠ ـ لنـا في كلِّ يـومٍ من مَعَـدٍّ سِبـابٌ أو قِتـالٌ أو هجـاءُ(5)
٢١ ـ فنُحْكِمُ بـالقـوافي مَنْ هَجَـانـا ونضرِبُ حينَ تختلـطُ الـدِّمـاءُ
٢٢ ـ ألا أبلِـغْ أبـا سفيـان عني فـأنت مجـوَّفٌ نَخِبٌ هَـوَاءُ(6)

---

(١) جاء في اللسان ١٧٩/٥ : تمطَّرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت متمطِّرة أي جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً . وتلطِّمهن مزيد لطمه يلطمه لطماً ضرب خدّه أو صفحة خده بكفٍّ مفتوحة . والْخُمُر جمع خِمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها . يقول تبعتهم الخيل فتنبعث النساء يضربن خدود الخيل بخمرهن لتردّها .

(٢) روح القدس هو جبريل عليه السلام .

(٣) عبداً يعني سيِّدنا رسول الله ﷺ .

(٤) العرضة من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه وفلان عرضة للشر قوي عليه . يريد أن الأنصار أقوياء على القتال همّتها وديدنها لقاء القروم الصناديد .

(٥) لنا يعني معشر الأنصار ، وقوله من معدّ يريد قريشاً لأنهم عدنانيون .

(٦) قوله مجوَّف يقال رجل مَجُوف ومُجَوَّف أي جبان لا قلب له كأنه خالي الجوف من الفؤاد ومثله النَّخْب . وفي الأثر بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ومثله الهواء . قال تعالى : ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ أي نزعت أفئدتهم من أجوافهم خوفاً .

٢٣ـ بـأنَّ سيـوفَنـا تركَتْـكَ عبـداً وعبـد الـدار سـادتُهـا الإمـاءُ
٢٤ـ هجـوتَ محمَّـداً فـأجبتُ عنـه وعنـد اللهِ في ذاكَ الجَـزاءُ
٢٥ـ أتهجـوه ولستَ لـه بِكُفءٍ فشرُّكما لخيركما الفِـداءُ
٢٦ـ هَجَـوْتَ مُبـاركاً بَرّاً حنيفـاً أمينَ اللهِ شيمَتُـهُ الـوفـاءُ
٢٧ـ فَمَنْ يهجـو رسـولَ اللهِ منكم ويمـدحُـهُ وينصُرُه سَـواءُ
٢٨ـ فـإنَّ أبي ووالـده وعرضي لعرضِ محمَّـدٍ منكم وِقـاءُ
٢٩ـ فـإمَّـا تثقفنَّ بنـو لـؤيٍّ جُـذيمـةَ إنَّ قتلهُمُ شِفـاءُ
٣٠ـ أولئـك معشرٌ نَصروا علينـا ففي أظفـارنـا منهم دمـاءُ
٣١ـ وحلفُ الحـارث بن أبي ضِرارٍ وحلفُ قُريظـةٍ منّـا بَراءُ
٣٢ـ لسـاني صـارمٌ لا عيبَ فيـه وبحري لا تكـدِّرُه الـدِّلاءُ

☆ ☆ ☆

شرح ديوان حسّان بن ثـابت الأنصاري لعبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٩٢٩ م ، ص ١ ـ ١٠

- ٢ -

قال كعب بن زهير[☆] يمدح الرسول ﷺ :

١ - بانَت سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ   متيَّمٌ إثرها لم يُجْزَ مكبولُ
٢ - يسعى الوشاةُ بجنبيها وقولُهُم   إنك يا بنَ أبي سُلْمى لمقتولُ[1]
٣ - وقالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُه   لا أُلفينَّكَ إنّي عنكَ مَشغولُ
٤ - فقلتُ خَلُّوا طريقي لا أبا لكُمُ   فكلُّ ما قدَّر الرَّحمنُ مفعولُ
٥ - كلُّ ابنِ أُنثى وإنْ طالت سَلامتُهُ   يوماً على آلةٍ حَدْباءَ مَحمولُ
٦ - أُنبِئْتُ أنَّ رسولَ الله أوْعَدني   والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ
٧ - مَهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ   ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
٨ - لا تأْخُذَنّي بأقوالِ الوشاةِ ولم   أُذْنِبْ ولو كثُرتْ عنّي الأقاويلُ
٩ - لقد أقومُ مَقاماً لو يقومُ بهِ   أرى وأسمعُ ما لو يسمعُ الفيلُ
١٠ - لَظَلَّ يُرْعَدُ إلاّ أنْ يكونَ لهُ   من الرسولِ بإذنِ الله تنويلُ
١١ - حتّى وضعتُ يميني لا أُنازعُهُ   في كفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ
١٢ - لَذاكَ أهْيَبُ عندي إذ أُكلِّمُهُ   وقِيلَ إنَّكَ مسبورٌ ومسئولُ
١٣ - مِنْ ضَيغمٍ من ضِراءِ الأُسْدِ مُخْدَرُه   ببطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غِيْلُ

(☆) هو كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى المُزَنِيّ ، نشأ في بيت شعر معروف في الجاهلية ، ولما جاء الإسلام أسلم أخوه بُجَير فغضب كعب لإسلامه وهجاه وهجا الرسول وأصحابه ، فتوعَّده الرسول وأهدر دمه ، فضاقت عليه الأرض بعد أن امتنعت القبائل عن أن تجيره ، فاتجه إلى أبي بكر متوسلاً به إلى الرسول فجاءه تائباً ، وأنشده قصيدته الشهيرة « بانت سعاد » . له ديوان شعر جيِّد وهو من المخضرمين المحول .

(1) ويروى : « جنابيها » أي حواليها . والضمير فيه راجع إلى سعاد ، أي إنَّ الوشاة يسعون إليها بوعيد رسول الله ﷺ إياه .

١٤ـ يَغْـدو فَيَلْحَمُ ضِرغـامين عيشُهما — لحمٌ مِن القـوم مَعْفـورٌ خَراذيـلُ
١٥ـ إذا يُسـاوِرُ قِرْنـاً لا يَحِـلُّ لـه — أنْ يترك القِرْنَ إلا وهـو مَفلـولُ
١٦ـ منـه تَظَـلُّ حميرُ الوحشِ ضامـزةً — ولا تُمَشِّي بـواديـهِ الأراجيـلُ[1]
١٧ـ ولا يـزالُ بـواديـهِ أخـو ثِقَـةٍ — مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسانِ مـأكولُ
١٨ـ إنَّ الرسـولَ لسيفٌ يُسْتَضـاءُ بـهِ — مُهَنَّـدٌ من سُيُـوفِ الله مسلـولُ
١٩ـ في عُصْبَـةٍ من قُرَيش قـالَ قـائلُهُم — ببطنِ مكَّـةَ لَمَّـا أسلمـوا زُولـوا
٢٠ـ زالُـوا فمـا زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ — عنـدَ اللِّقـاء ولا مِيـلٌ مَعَـازيـلُ
٢١ـ شُمُّ العَرانينِ أبطـالٌ لَبُـوسُهُمُ — من نَسْـجِ داودَ في الهيجـا سَرابيـلُ
٢٢ـ بيضٌ سَوابغُ قـد شُكَّت لهـا حَلَـقٌ — كأنَّهـا حَلَقُ القَفْعـاء مَجْـدولُ[2]
٢٣ـ يمشونَ مَشْيَ الجِمالِ الـزُّهرِ يعصِمُهم — ضَرْبٌ إذا عرَّدَ السُّـود التنـابيـلُ
٢٤ـ لا يفرحـون إذا نـالتْ رِمـاحُهُمُ — قومـاً وليسـوا مَجَـازِيعـاً إذا نِيلُوا
٢٥ـ لا يقـعُ الطَّعنُ إلا في نحـورِهمُ — ما إنْ لهم عن حِياضِ الموتِ تَهليلُ[3]

☆ ☆ ☆

شرح ديوان كعب بن زهير صنعة السكّري ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب ١٩٥٠ ،
ص ٦ ـ ٢٥

---

(١) يريد أن يصف هذا الأسد بأن الوحوش والرجال تهابه ، فالوحوش ساكنة من هيبته ، والرجال ممتنعة عن المشي بواديه .

(٢) بيض سوابغ : يعني الدروع أنها سابغة صافية فضفاضة . وشُكَّت : أُدخل بعضُ حلقها في بعض وسُمِّرت ، فتشبَّه حَلَقها بنَوْر القفعاء ، وهي شجرة لها ورق وثمر مثل حلق الدروع

(٣) تهليل : تكذيب ، يقال : هَلَّل الرجل إذا جبُن في حملته . قال الأصمعي : لا يفرُّون ولا ينهزمون فيقع الطعنُ في أدبارهم .

- ٣ -

فلمّا تواقعَ القومُ بالقادسية ، نظرَ أبو مِحجن(☆) إلى النّاسِ قد قُتلوا فقالَ :

١ ـ كفى حَزَناً أن تطعُنَ الخيلُ بالقنا ... وأصبحَ مشدوداً عليَّ وثاقيا
٢ ـ إذا قمتُ عنّاني الحديدُ، وأُغلقَتْ ... مصارعُ من دوني تُصِمُّ المناديا
٣ ـ وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فأصبحتُ منهم واحداً، لا أخاليا
٤ ـ وقد شفَّ جسمي أنني، كلَّ شارقٍ ... أعالج كَبْلاً مُصمتاً قد برانيا
٥ ـ فللّه درّي يومَ أُتْرَكُ مُوثقاً ... وتَذْهَلُ عني أُسرتي ورجاليا
٦ ـ حَبيساً عن الحربِ العَوَان وقد بَدَت ... وإعمال غيري يومَ ذاك العواليا
٧ ـ أريني سلاحي، لا أبا لكِ، إنّني ... أرى الحربَ ما تزدادُ إلا تماديا
٨ ـ ولله عهدٌ، لا أخيسُ بعهده : ... لَئِنْ فُرِّجت، ألا أزورَ الحوانيا
٩ ـ فإن متُّ كانت حاجةً قد قضيتها ... وخلَّفتُ «سعداً» وحدَه والأمانيا

وقالَ لامرأة سعد : « أطلقيني ، ولكِ عليَّ عهدُ الله وميثاقُه : لئِنْ فتحَ اللهُ على المسلمين ، وأنا حيٌّ لأرجعنَّ إلى مَحْبِسي » . فأطلقتْهُ . فركب فرساً بلقاءَ لسعد . وخرجَ فشقَّ الصفوفَ مُقبلاً ومُدبراً . وأشرفَ سعدٌ من القصر فنظر ، فقالَ : « لولا أنَّ أبا مِحجن مقيَّدٌ لقلت : إنَّ الفارسَ أبو محجن ، وهذه فرسي البلقاء » .

☆ ☆ ☆

أبو محجن الثقفي ، حياته ـ شعره ، دراسة وتحقيق محمود فاخوري ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية بجامعة حلب ، ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩

(☆) هو عمرو بن حبيب الثقفي ، أسلم سنة (٩) للهجرة وروَى عدة أحاديث عن الرسول ﷺ . عرف بحبّه للخمرة ووصفها ، وقد حدّه عمر بن الخطاب في شربها مراراً ، لحق بجيش سعد بن أبي وقاص في فتح القادسية وأبلى أحسن البلاء . توفي سنة ٣٠ هـ .

وقالَ لما عادَ إلى مَحْبِسه :

١ ـ لقـــــــد علمتْ ثقيفةُ غيرَ فخرٍ ... بــأنّــا نحنُ أجــودُهــا سُيــوفــا
٢ ـ وأكثرُهــا دروعــاً ضــافيــاتٍ ... وأصبرُهــا إذا كرهوا الوقوفــا[1]
٣ ـ وأنّـــا رفـــدُهم في كلّ يــومٍ ... فإن غضبوا فَسَلْ رجلاً عريفــا[2]
٤ ـ وليلـــةَ قـــادسٍ لم يشعروا بي ... ولم أُشْعِرْ بمخرجيَ الـزُّحــوفــا[3]
٥ ـ فـــإن أُحْبَس فــذلكمُ بـلائي ... وإن أُترك أُذِيقَهمُ الْحُتــوفــا

☆ ☆ ☆

أبو محجن الثقفي ، حياته ـ شعره ، ص ١٩٥

---

(١) الدروع الضافية : الدروع الطويلة التامة .
(٢) الرفد : العطية والمساعدة . والعريف : العارف .
(٣) ليلة قادس : القادسية .

ـ ٤ ـ

قالَ عمرو بن معديكرب الزُّبيدي(☆) :

١ ـ لِمَن الـدِّيـارُ بروضـة السُّـلاَّنِ ـــ فـالرَّقْمتين فجـانب الصَّمّـان[١]
٢ ـ لعبتْ بهـا هَـوجُ الرِّيـاح وبـدِّلتْ ـــ بعـدَ الأنيس مكانسَ الثيران[٢]
٣ ـ فكأنَّ مـا أبْقَيْن مِن آيـاتهـا ـــ رَقْمٌ يُنَمَّـقُ بـالأكفِّ يَمَـاني[٣]
٤ ـ دارٌ لِعَمْرةَ إذ تُريـكَ مُفَلَّجـاً ـــ عَـذْبَ الْمَـذاقـةِ واضحَ الألـوان[٤]
٥ ـ والأشعثُ الكنـدي حينَ سَمَـا لنـا ـــ من حَضْرَمَـوْتَ مُجنِّبَ الـذّكران[٥]
٦ ـ قـادَ الجيـادَ على وجَـاهَـا شُزَّبـاً ـــ قُبُّ البطـون نـواحـلَ الأبـدان[٦]

(☆) هو أبو ثَوْر عمرو بن معديكرب الزُّبيدي . نشأ في قومه زُبيد ضخم الجثة أكولاً لا تُلحظ عليه علامات السيادة ، إلى أن شنَّت قبيلة خثعم غارة شعواء على قبيلته فأبلى في قتالها بلاءً حسناً ، وسُمّي فارس زُبيد أسلم سنة ٩ للهجرة وارتدَّ مع المرتدين زمن أبي بكر ، ثم أُسر فتاب وأسهم في الفتوح وكان واحداً من أبطالها ، إذ شهد اليرموك والقادسية ويوم نهاوند . توفي سنة ٢١ هـ .

(١) السلان : أرض تهامة ممّا يلي اليمن ، وقيل : السلان وادٍ بإزاء جبل خَزَاز ، وهو ممّا بين الحجاز واليمن . الرقمتان : روضتان بناحية الصمّان ، والصمّان متاخم للدَّهناء .

(٢) الريح الهوجاء : الشديد الهبوب ، وجمعها هُوج . الأنيس : من يُؤنَس به . المكانس : جمع مَكْنَس ، وهو مَوْلج الوحش من الظباء والبقر تستكنّ فيه من الحرّ .

(٣) الآيات : العلامات . الرَّقْم : ضرب مخطَّط من الوشي ، وقيل من الخزّ ، أو ضرب من البرود . ينُق : ينقش ويزيّن .

(٤) مفلَّجاً : نعت للثغر ، والفَلَج تباعد ما بين الأسنان .

(٥) الأشعث : ابن قيس الكندي ، وكانت مراد قتلت قيس بن معديكرب فجاء الأشعث ثائراً بأبيه وخرجت كندة على ثلاث ألوية عليها كبس بن هانئ والقشعم أبو جبر والأشعث . فأخطؤوا مراداً ولم يقعوا عليها ووقعوا على بني الحارث بن كعب ، فقتل كبش والقشعم وأسر الأشعث . ففُدي بثلاثة آلاف بعير . سما لنا : نهض لقتالنا ، كأنه ارتفع لينال ما يطلبه . مجنِّب الذكران : من الْجَنَب ، وهو أن يَجْنُبَ فرساً خلف المركوب ، فإذا بلغ قرب الغاية تحوَّل إلى المجنوب .

(٦) الوجى : الْحَفا . شزَّبا : جمع شازب وهو الضامر . قبّ البطون : ضوامرها .

٧ـ حتى إذا أسرى وأوَّبَ دُوْنَنَـــــا   من حضرموت إلى قضيب يَمَـان[١]
٨ـ أضْحَى وقـد كانتْ عليـه بـلادُنَـا   محفـوفــةً كحظيرةِ البستــان
٩ـ فـدَعَـا فسـوَّمَهــا وأيْقَنَ أنَّــه   لا شكَّ يـومُ تسـايفٍ وطِعـان[٢]
١٠ـ لمـا رأى الجمـعُ المصبَّـحُ خيلَـهُ   مبثـوثــةً ككـواسرِ العِقبـان[٣]
١١ـ فزعـوا إلى الْحُصُن الْمَـذَاكي عنـدهم   وَسْطَ البيوت يَرُدْنَ في الأرسـان[٤]
١٢ـ خيـلٌ مربَّطــةٌ على أعـلافهـــا   يُقْفَيْنَ دونَ الحيِّ بــالألبـــان[٥]
١٣ـ وَسَعَتْ نسـاؤهُم بكلِّ مُفَــاضــةٍ   جَـدْلاءَ سـابغـة وبـالأبـدان[٦]
١٤ـ فقَـــذَفْنَهُنَّ على كهـولٍ ســادةٍ   وعلى شَرَامِحــةٍ من الشبَّــان[٧]
١٥ـ حتى إذا خَفَت الـدعـاءُ وصُرِّعتْ   قتلى كَمُنْقَعِرٍ من الغُـــــلاَّن[٨]
١٦ـ نَشَـدوا البقيَّـةَ وافتـدَوا من وقعنـا   بـالركض في الأدغـال والقِيعـان[٩]

---

(١) قضيب : وادٍ بين نجران والجوف ، من موارد بني الحارث بن كعب . التأويب . سير تمام النهار .

(٢) سوّمها : أعلمها بعلامة ، والضمير عائد إلى الجياد . التسايف : التضارب بالسيوف .

(٣) الجمع المصبّح : أي الذين صبَّحهم العدو بالغارة . العُقاب الكاسر : هي التي تكسر جناحيها وتضمّها إذا أرادت السقوط .

(٤) المذاكي من الخيل : هي التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، الواحد مُذَكٍّ . يَرُدن (بفتح الياء وضمّ الراء) : يذهبن ويجئن .

(٥) يُقفين : يؤثرن ويكرمن .

(٦) المفاضة : الدرع الواسعة . جدلاء : محكمة النسج . سابغة : تامة . الأبدان : ج بَدَن ، وهي الدرع القصيرة .

(٧) الشرامحة : جمع الشرمحيّ والشِّرمح ، وهو القويّ الطويل .

(٨) الغُلان : جمع غالّ ، نبات معروف . المنقعر : المنقلع من أصله .

(٩) أدغال الأرض : رقتها وبطونها والوطاء منها ، وستر الشجر دَغَل ، والقُفّ المرتفع والأكمة دَغَل ، والوادي دَغَل ، والغائط الوطيء دَغَل ، والجبال أدغال . القيعان : جمع قاع : وهي الأرض الواسعة المستوية .

١٧ ـ واستسلموا بعد القتال فإنَّما ... يتربّقون تَرَبُّقَ الْحُمْلان[1]

١٨ ـ فأُصيبَ في تسعينَ من أشرافهم ... أسرى مُصفَّدةً إلى الأذقان[2]

١٩ ـ فشتا وقاظَ رئيسُ كندة عندنا ... في غيرِ مَنْقَصةٍ وغيرِ هَوَان

٢٠ ـ والقادسيةُ حيثُ زاحمَ رُسْتَمَ ... كنّا الْحُمَاةَ نهزُّ كالأشطان[3]

٢١ ـ الضّاربين بكلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ ... والطاعنينَ مجامعَ الأضغان[4]

٢٢ ـ قومٌ همو ضَربوا الجبابر إذ بَغَوا ... بالمشرفية من بني سَاسَان

٢٣ ـ حتى استُبيح قرى السَّواد وفارسٍ ... والسهلَ والأجبالَ من مُكران

☆ ☆ ☆

شعر عمرو بن معديكرب الزُّبيدي ، جَمَعه وحقَّقه مطاع طرابيشي ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٨ ـ ١٦٣

---

(١) التربّق والارتباق : الوقوع في الربقة ، خيط يُشدّ به .

(٢) قال الأصمعيّ : كان فين غزا مع الأشعث بن قيس يومئذٍ من بني الحارث بن معاوية كبش بن هانئ والقشعم بن الأرقم وبنو فزارة ، فأسروا يومئذٍ مع الأشعث .

(٣) رُسْتَم : ضُبطت بفتح التاء ، الأشطان : جمع شَطَن ، وهو الحبل الطويل شبّه الرمح به .

(٤) المخذم : القاطع . الأضغان : الأحقاد ، ومجامع الأضغان كناية عن القلوب ، والبيت من الشواهد البلاغية المعروفة .

قال القَعْقاعَ بنَ عمرو يومَ نهاوند(☆) :

١ ـ رمى اللهُ مَنْ ذَمَّ العشيرةَ سادِراً بداهيةٍ تبيَضُّ منها المقادِمُ(١)
٢ ـ فَدَعْ عنكَ لومي ، لا تلُمني ، فإنَّني أحوطُ حَريمي والعدوُّ الموائِمُ(٢)
٣ ـ فنحنُ وَرَدْنا في (نهاوندَ) مَوْرِداً صَدَدْنا به والجمعُ حَرَّانُ داحِمُ(٣)
٤ ـ ونحنُ حَبَسْنا في نهاوندَ خيلنا لِشرِّ ليالٍ أُنتجت للأعاجِمُ(٤)
٥ ـ مَلأْنا شِعاباً في نهاوندَ منهمُ رِجالاً وخَيْلاً أُضْرِمت بالضَّرائِمُ(٥)
٦ ـ وراكَضَهُنَّ الفَيْرَزانُ على الصَّفا فلم يُنْجِه منها انفساحُ المخارِمُ(٦)
٧ ـ ألا أبلغ أَسَيْداً حيثُ سارت ويمَّمَتْ بما لَقِيت منّا جموعُ الزَّمازِمُ(٧)

(☆) هو القعقاع بن عمرو التميمي . ترعرع في المدينة المنورة فتىً ، ولا يُعرف شيء عن مولده ونشأته الأولى . شارك في حروب الردّة قائداً من قوّاد أبي بكر فنال النصر حتى قال فيه أبو بكر : « لا يُهزم جيش فيه مثل القعقاع » . كما شارك في فتح العراق والشام وأبلى في الجهاد بلاءً حسناً . شهد مع الإمام علي موقعة الجمل ، وسكن الكوفة . وليس في المصادر تاريخ محدّد لوفاته .

(١) السادر : الذي لا يهتمّ ولا يبالي ما يصنع . الداهية : المصيبة . المقادم : الرؤوس .

(٢) أحوط : أصون . الموائم : المسالم .

(٣) حَرّان : فيه حرارة . داحم : من دحم بمعنى دفع .

(٤) أُنتجت : أُنتجت الناقة أي حان وقت نتاجها : أي ولادتها . ونتاج الليالي هو المصائب .

(٥) الشّعاب : جمع شِعب ، وهو ما انفرج بين الجبلين . أضرمت الخيل : أسرع جريها .

(٦) راكضهن : سابقهن يريد الهرب . الصفا : جمع الصفاة : وهي الحجر الصخم الصلد الذي لا ينبت عليه شيء . المخارم : الطرق .

(٧) أسيد : قوم من العرب . يمّمت : قصدت . الزمازم : الأصوات البعيدة التي لها دويّ وتتابع كصوت الرعد .

٨ـ غداةَ هَوَوا في (وايَ خَرْدَ) فأصبحوا تعودُهُم شُهْبُ النُّسورِ القشاعِمْ[1]

٩ـ قتَلْناهم حتّى مَلأنا شِعابَهُمْ وقد أُفعِمَ اللِّهبُ الذي بالصرائمْ[2]

٭ ٭ ٭

معجم البلدان لياقوت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٥ م مادة (نهاوند) ومادة (واي خرد) . وشعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام للنعمان عبد المتعال القاضي ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣١

---

(١) واي خرد : اسم الخندق الذي سقط فيه الفرس في أثناء هربهم . تعودهم : تزورهم . شُهب : جمع أشهب : وهو الأبيض الذي يخالط بياضه سواد . القشاعم : جمع قشعم . وهو المسنّ من النسور .

(٢) أفعم : امتلأ . اللهب : الوادي . الصرائم : جمع الصريمة ، وهي الأرض التي حصد زرعها .

-٦-

قالَ الحطيئة[☆] يهجو الزبرقان بن بدر[١] :

١ـ مـا كان ذَنْبُ بغيضٍ، لاأبَـا لكُم ... في بائسٍ جاءَ يحدو آخرَ النَّاس[٢] ؟
٢ـ لقـد مَرَيتُكُم لـو أنَّ دِرَّتكم ... يوماً يجيءُ بها مَسْحي وإبساسي[٣]
٣ـ وقـد مَـدَحْتُكُم عَمْـداً لأُرشِـدَكُم ... كيما يكون لكُم مَتْحي وإمراسي[٤]
٤ـ فمـا مَلَكْتُ بـأنْ كانت نفوسُكُم ... كفـاركٍ كرهت ثـوبي وإلبـاسي[٥]
٥ـ لمَّـا بَـدَا لي منكُم غيبُ أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكُمُ آسٍ[٦]
٦ـ أزْمَعْتُ يـأساً مُبينـاً من نـوالكُمُ ... ولن ترى طـارداً للحرِّ كاليـاس[٧]

(☆) هو جَرْول بن أوس ، يُنسب إلى عبس ولكنَّ نسبه لم يثبت . نشأ وضيعاً حاقداً كارهاً للناس ، لذلك شاع الهجاء في شعره ، ولم يسلم منه أحد من قرابته حتَّى نفسَهُ هجَاها . ولما جاء الإسلام أسلم لكنّه كان رقيق الدين . هجا الزبرقان بن بدر وغيره فحبسه عمر بن الخطاب وهدّده بقطع لسانه ، ثم اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنّه نكث وأوغل في هجاء الناس بعد موت عمر . توفي سنة ٥٩ هـ .

(١) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي ، صحابيّ من رؤساء قومه . قيل اسمه الحصين ، ولقب لجمال وجهه بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) ، ولاّه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمان عمر . وكفّ بصره في آخر عمره . كان فصيحاً شاعراً .

(٢) بغيض : اسم الرجل الذي نزل عنده الحطيئة بعد تركه آل الزبرقان . لاأبا لكم : شتيمة البائس أراد به نفسه . يحدو آخر الناس : يريد أنه رجل مسكين .

(٣) مريتكم : مسحت ضرعكم . شبههم بالناقة التي يمسح ضرعها لتدرّ لبناً . والدرة : اللبن . الإبساس : صوت تسكن به الناقة عند الحلب يقول : بس بس .

(٤) المتح : نزع الدلو من البئر . الإمراس : رد الحبل إلى البكرة .

(٥) الفارك : الزوجة التي تكره قرب زوجها منها .

(٦) غيب أنفسكم : ما كنتم تضمرونه لي من الكراهية . الآسي : الطبيب .

(٧) أزمعت : قرّرت . الياس : هو اليأس .

٧ ـ ما كانَ ذنبُ بغيضٍ أنْ رأى رجلاً ذا فاقةٍ عاشَ في مُسْتَوعِرٍ شَاس[١]
٨ ـ جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزلِهِ وغادروه مقيماً بين أرماس[٢]
٩ ـ ملُّوا قِراهُ وهَرَّتهُ كِلابُهُمْ وجرَّحوهُ بأنيابٍ وأضراس[٣]
١٠ ـ دَعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبُغْيتِها واقعدْ، فإنَّك أنتَ الطاعِمُ الكاسي[٤]
١١ ـ سيري، أمامُ، فإنَّ الأكثرين حصىً والأكرمين أباً من آلِ شمَّاس[٥]
١٢ ـ مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والنَّاس[٦]
١٣ ـ ما كان ذَنْبِيَ أنْ فلَّتْ معاوِلَكُمْ من آل لأيٍ صَفاةٌ أصلُها راسِ[٧]
١٤ ـ قد ناضلوكَ فَسَلُّوا من كِنانتهم مَجداً تليداً ونَبْلاً غيرَ أنكاسِ[٨]

☆ ☆ ☆

ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان أمين طه، البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٨، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤

---

(١) فاقة: فقر، الشاس: هو الشأس المكان المرتفع الوعر.

(٢) جار لقوم: أراد بالجار نفسه، وبالقوم آل الزبرقان. الهون: الهوان والذل. الأرماس: القبور.

(٣) القِرى: إكرام الضيف. هرَّته: نبحته. وهذا دليل بخلهم، لأن كلب البخيل الذي لم يألف الزوار ينبحهم.

(٤) لبغيتها: لطلبها. الطاعم: الآكل. الكاسي: من عليه كسوة. وقد جاء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول ولهذا عُدَّ هجاء.

(٥) أمامُ: مرخَّم أمامة. وهي زوج الشاعر. حصىً: عدداً. شمَّاس: هو ابن لأي.

(٦) جوازيه: مكافآته.

(٧) فلَّت: كسرت. صفاة: صخرة ملساء قاسية. راسٍ: اسم فاعل من رسا. آل لأي: هو لأي بن أنف الناقة بن قريع التيمي. وكان بنو أنف الناقة يُعيَّرون باسمهم، إلى أن قال الحطيئة في مدحهم:

قوم هم الأنف والأذنابُ غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فأصبح اسمهم مدعاة فخر لهم.

(٨) ناضلوك: نافسوك. ويريد بالمنافسين آل شماس. الكنانة: جعبة السهام. المجد التليد: المجد القديم. الأنكاس: جمع نكس وهو السهم الذي انكسر فقلب وجعل أسفله أعلاه.

- ٧ -

وقال لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه :

١ - يا أيُّها المَلِكُ، الّذي أمسَتْ لهُ ... بَصرَى، وغزّةُ: سَهلُها والأجرَعُ[١]

٢ - أشكو إليكَ، فأشكني، ذُرّيّةً ... لا يَشبعونَ، وأُمُّهم لا تَشبَعُ

٣ - كثُرُوا عليَّ، فلا يموتُ كبيرُهم ... حتّى الحِساب، ولا الصَّغيرُ المَرضَعُ

٤ - فبُعِثتَ للشُّعراءِ مَبعثَ داحسٍ ... أو كالبَسُوس، عِقالُها يَتكوَّعُ[٢]

٥ - ومَنَعتَني شَتمَ البخيل، فلم يَخفْ ... شَتمي، فأصبحَ آمِناً، لا يَفزَعُ

٦ - وأخذتَ أطرارَ الكلام، فلم تَدَعْ ... شَتماً يَضرُّ، ولا مَديحاً يَنفعُ[٣]

٧ - وبُعِثتَ للدُّنيا، تجمّعُ مالَها ... وتَضُرُّ جِزيَتَها، ودأباً تَجمعُ

٨ - ومَنعتَ نفسكَ فَضلَها، ومَنحتَها ... أهلَ الفَعالِ، فأنتَ خيرٌ، مُولَعُ

٩ - حتّى يجيءَ إليكَ عِلجٌ نارِحٌ ... فيُصيبَ عَفوتَها، وعَبدٌ أوْكَعُ[٤]

١٠ - والعَيلةُ الضَّعفى، ومَن لا خيرَه ... خَيرٌ، ومِثلُهُمُ غُثاءٌ، أجمعُ

١١ - أمْ زَعمتَ، لهم، وماتتْ أمُّهم ... في عهدِ عادٍ، حينَ ماتَ التُّبَّعُ

١٢ - فليُوشِكَنَّ، وأنتَ - تَزعم - أمُّهم ... أنْ يركبوك بِثقْلِهم، أو يَرضَعوا

١٣ - وأرَى الذين حَوَوا تُراثَ محمّدٍ ... أفلَتْ نجومُهُمُ، ونجمُكَ يَسطعُ

ديوان الحطيئة، ص ٢١٠ - ٢١٣

---

(١) الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

(٢) البسوس : امرأة من بني سعد بن زيد مناة هاجت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . والعقال : حبل يشد به . ويتكوع : يتثنى . وقيل : البسوس ناقة أصابها رجل من العرب في ضرعها فقتلها فقامت الحرب بسببها ، وصارت مثلاً في التشؤم .

(٣) الأطرار : النواحي .

(٤) عفوتها : خيارها وما صفا منها . والأوكع : الذي ركبت إبهام رجله على السبابة .

-٨-

قالَ سُحَيم عبد بني الْحَسْحَاس[*] :

١ ـ عُمَيْرةَ ودِّعْ إنْ تَجَهَّـزْتَ غـادِيـا كَفَى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا
٢ ـ جُنُوناً بِها فيا اعتشرنـا عُلالَـةً عَـلاقـةَ حبٍّ مُسْتَسِرّاً وبـادِيـا
٣ ـ ليـاليَ تصطـادُ القلوبَ بفـاحمٍ تَرَاه أثيثـاً نـاعمَ النَّبت عـافيـا
٤ ـ وجيـدٍ كجيـدِ الرِّيم ليسَ بعـاطلٍ مِن الدُّرِّ والياقوتِ والشَّذْر حَاليا
٥ ـ كأنَّ الثُّريـا عُلِّقت فـوقَ نحرِهـا وجَمْرَ غَضَىً هَبَّتْ له الرِّيحَ ذاكيا
٦ ـ إذا انـدفَعَتْ في رَيْطـةٍ وخميصـةٍ ولاَثَتْ بـأعلى الرِّدف بُرْداً يمَـانيا
٧ ـ تُريـكَ غَـداةَ البينِ كفّـاً ومِعْصماً ووجهاً كـدينـار الأعـزَّة صـافيـا
٨ ـ فَمَـا بيضـةٌ بـاتَ الظليمُ يحُفُّهـا ويرفـعُ عنهـا جُؤجُـؤاً مُتَجـافيـا
٩ ـ ويَجعلُهـا بينَ الجنـاح ودفِّـه ويُفْرِشُها وَحْفـاً من الزِّفِّ وافيـا[1]
١٠ ـ فَيَرفـعُ عنهـا وهيَ بيضـاءُ طَلَّـةٌ وقد واجهت قَرْناً من الشَّمس ضاحيا
١١ ـ بأحسنَ منهـا يـومَ قـالت أراحِـلٌ معَ الرَّكْبِ أمْ ثـاوٍ لـدينـا ليـاليـا
١٢ ـ فإنْ تثوِ لا تُمْلَلْ وإنْ تُضْحِ غاديـا تُـزَوَّدْ وترجِـعْ عن عُمَيرةَ راضيـا
١٣ ـ ومَنْ يَـكُ لا يبقى على النـأي وُدُّه فقـد زَوَّدَتْ زاداً عُميرةَ بـاقيـا
١٤ ـ ألِكْني إليهـا عَمْرَكَ اللهَ يـافتىً بآيـةِ مـا جـاءتْ إلينـا تَهَـادِيـا
١٥ ـ تَهَـادِيَ سَيْـلٍ في أبـاطـحَ سَهْلَـةٍ إذا مـا عـلا صَمْـداً تفرَّعَ واديـا

(*) هو سُحَيم عبد بني الحسحاس يكنى أبا عبد الله ، أدرك النبي ﷺ وقد تمثل بشيء من قصيدته الشهيرة « عميرة ودّع » . كان كثير التشبيب بالنساء وله مغامرات كثيرة معهن ، ويمثّل تيار الغزل الصريح الفاحش في الحجاز ، قتل في خلافة عثمان ، أي قبل سنة ٣٥ هـ ، وفي مقتله روايات وأخبار كثيرة .

(١) الزفّ : الريش . والوحف : الكثير الأسود .

١٦ـ فَفَاءَتْ ولم تقضِ الذي هو أهلَهُ ومِنْ حاجةِ الإنسان ماليسَ لاقيا

١٧ـ وبِتْنا وِسادانا إلى عَلَجانَةٍ وحِقْفٍ تَهاداه الرِّياحُ تَهادِيا[1]

١٨ـ سَقتني على لوحٍ مِن الماء شَرْبةً سَقاها بها اللهُ الذِّهابَ الغَواديا

١٩ـ أُقبِّلها للجانبين وأتّقِي بها الرِّيحَ والشَّفّان مِنْ عَن شماليا

٢٠ـ ألا أيُّها الوادي الذي ضَمَّ سيلَهُ إلينا نَوى الحسناء حُيِّيتَ واديا

٢١ـ فَيَا ليتني والعامريةَ نلتقي نَرودُ لأهْلينا الرِّياض الحواليا

٢٢ـ ومَا بَرِحَتْ بالدَّيْرِ منها أثارةٌ وبالجوِّ حتّى دمَّنتْه لياليا

٢٣ـ فإن تُقْبلي بالوُدِّ أُقبِلْ بمثلِهِ وإنْ تُدْبِري أَذْهَبْ إلى حالِ باليا

٢٤ـ ألَمْ تَعلمي أنّي صَرُومٌ مواصِلٌ إذا لم يكُنْ شيءٌ لِشيءٍ مُواتيا

٢٥ـ ألا نادِ في آثارِهنَّ الغوانيا سُقِينَ سِماماً مالَهُنَّ وماليا

٢٦ـ تَجَمَّعْنَ مِنْ شتّى ثلاثٍ وأربعٍ وواحدةٍ حتّى كَمَلْنَ ثمانيا

٢٧ـ وأَقْبَلْنَ من أقصى الخيام يَعُدْنَني نواهِدَ لم يَعْرِفْنَ خَلْقاً سَوائيا

٢٨ـ يَعُدْنَ مريضاً هُنَّ هيَّجْنَ داءَهُ ألا إنَّما بَعْضُ العَوائِدِ دائيا

٢٩ـ وَرَاهُنَّ ربّي مثلَ ماقَدْ وَرَيْنَني وأحْمَى على أكبادِهِنَّ الْمَكاويا

☆ ☆ ☆

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ١٦ ـ ٢٤

(١) العلجانة : شجرة تنبت في الرمال . والحقف : حبل من الرمل معقوقف أي معوج تهاداه الرياح : تنقله من موضع إلى موضع .

قالَ جرير(☆) من طريف غزله الذي استرسل فيه مع نفسه ووجده وذكرياته ، في شعر طويل عذب ، وهيام عنيف ، كاد ينسيه غرضه الأول هجاء الأخطل الذي من أجله ساقَ هذا الشّعر الغزلي الرقيق :

١ ـ بانَ الخليطُ ولو طووِعتَ ما بانا ... وقطّعوا من حبالِ الوصلِ أقرانا(١)

٢ ـ حَيِّ المنازل إذْ لا نبتغي بَدَلاً ... بالدّار داراً وبالجيران جيرانا

٣ ـ قد كنتُ في أثر الأظعان ذا طربٍ ... مُرَوَّعاً من حِذار البين مِحْزانا(٢)

٤ ـ يا رُبَّ مكتئبٍ لو قد نُعيتُ لَهُ ... باكٍ وآخرَ مسرورٍ بمنعانا

٥ ـ لو تَعلمين الذي نلقى أوَيتِ لنا ... أو تسمعينَ إلى ذي العرش شكوانا

٦ ـ كصاحبِ الموج إذ مَالت سفينَتُه ... يدعو إلى الله إسراراً وإعلانا

٧ ـ يا أيُّها الراكبُ المزجي مطيَّتَهُ ... بلّغْ تحيّتنا لُقّيتَ حُملانا(٣)

٨ ـ بلّغْ رسائلَ عنّا خفٌّ مَحْمَلُها ... عَلى قلائصَ لم يَحْمِلْنَ حيرانا(٤)

٩ ـ كيما نقولُ إذا بلّغتَ حاجتنا ... أنتَ الأمينُ إذا مُسْتأمَنٌ خانا

١٠ ـ يا ليتَ ذا القلب لاقى مَنْ يعلّلُه ... أو ساقياً فسقَاهُ اليومَ سُلوانا

(☆) هو أبو حَزْرة جرير بن عطية بن الْخَطَفَى التيمي . ولد في اليمامة سنة ٢٩ هـ ، ونشأ في البادية ، وصار ينزل في البصرة قاصداً الأمراء والولاة . مدح الحجّاج وخلفاء بني أمية على الرغم من أنّ هواه كان قيسياً ميّالاً إلى ابن الزبير . برع في الهجاء والغزل ، وأخرس ـ كما قيل ـ ثمانين شاعراً . وبقي يهاجي الفرزدق نحواً من أربعين سنة . توفي سنة ١١٤ هـ ، بعد الفرزدق بنحو ستة أشهر .

(١) بان : فارق . الخليط : الشريك أو الزوج .

(٢) الأظعان : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج . والمحزان : كثير الحزن .

(٣) أزجى مطيته : ساقها . لُقّيت حُملاناً : رزقك الله ما يحملك .

(٤) القلائص : جمع قلوص وهي الناقة الطويلة القوائم الشابة القوية على السير . والحيران : جمع حوار وهو ولد الناقة ساعة تضعه يريد أنهن لم ينتجن .

١١ـ أوليتهـا لم تُعلّقنـا عَـلاقتَهـا ... ولم يكن داخـلُ الحبِّ الـذي كانـا
١٢ـ هَـلاَّ تحرَّجتِ ممَّـا تفعلينَ بنـا ... يا أطيبَ النَّاس يوم الدَّجْن أردانا[١]
١٣ـ قـالتْ أَلِمَّ بنـا إن كُنتَ مُنطلقـاً ... ولا إخـالُـكَ بعـدَ اليـوم تلقـانـا
١٤ـ يا طَيِّبَ هل مِن متـاعٍ تُمْتِعين بهِ ... ضيفاً لكم باكِراً يا طَيِّبَ عجلانـا[٢]
١٥ـ مـا كنتُ أوَّل مشتـاقٍ أخي طَرَبٍ ... هاجَتْ له غَـدَواتُ البين أحزانـا[٣]
١٦ـ يـــا أُمَّ عمرٍو جَـزاكِ الله مغفرةً ... رُدِّي عليَّ فـؤادي كالـذي كانـا
١٧ـ ألستِ أحسنَ مَنْ يمشي على قَـدمٍ ... يا أملحَ النَّاس كلِّ النـاسِ إنسانـا
١٨ـ لقـد كَتمتُ الهـوى حتَّى تهيَّمني ... لا أستطيـعُ لِهـذا الحبِّ كِتمانـا
١٩ـ كادَ الهـوى يـومَ سَلْمانين يقتلُني ... وكادَ يقتلُني يـومـاً ببيـدانـا[٤]
٢٠ـ وكادَ يـومَ لِـوا حـوَّاءَ يقتلُني ... لو كنتُ من زَفَراتِ البينِ قُرحانـا[٥]
٢١ـ لا بـارَكَ اللهُ فيمن كان يحسِبُكم ... إلاَّ على العهـد حتَّى كانَ مـا كانـا
٢٢ـ مِنْ حُبِّكم فـاعلمي لِلْحُبِّ منزلـةٌ ... نَهْوَى أميرَكُم لـو كان يَهـوانـا[٦]
٢٣ـ لا باركَ اللهُ في الدُّنيـا إذا انقطعت ... أسبابُ دُنياكِ من أسبابِ دُنيانـا[٧]

---

(١) الـدجن : الغيم والمطر . ويشير بطيب أردانها يوم المطر إلى أنها لا تخرج من بيتها والأردان • جمع ردن وهو طرف الثوب .

(٢) ياطيب : أي ياطيبة وحذف التاء على الترخيم . وعجلان : عجول وهي صفة لضيف .

(٣) الطرب : هنا بمعنى الحزن وهو من الأضداد . وأصله خفّة تصيب الإنسان .

(٤) سلمانين : موضع . بيدان : ماء لبني جعفر .

(٥) القرحان : يقال أنت قرحان من الأمر وقراحي : خارجٌ ، ويطلق كذلك على الخليّ ومَن لم يشهد الحرب ومن مَسّه القروح . اللوا : متقطع الرمل . وحوّاء : ماء من نواحي اليمامة .

(٦) الأمير : القيّم .

(٧) أسباب : حبال ، والمراد بها أواصر الصلة بين المحبّين .

٢٤ـ أَبُـدِّلَ الليـلُ لا تَسري كـواكبُـهُ   أمْ طالَ حتّى حسِبْتُ النجم حَيرانـا
٢٥ـ إنَّ العيـونَ التي في طرفهـا مَرَضٌ   قَتَلْننـــا ثمَّ لم يُحْيين قتـلانــــا
٢٦ـ يَصْرَعْن ذا اللبِّ حتّى لا حَرَاك بهِ   وهُنَّ أضعفُ خلـق الله إنسـانـا[1]
٢٧ـ يـا رُبَّ غـابطنـا لـو كان يطلبُكَم   لاقى مبـاعَـدَةً منكم وحِرمـــانــا
٢٨ـ طـارَ الفؤادُ مع الْخَوْد التي طَرَقت   في النَّوم طيِّبةَ الأعطاف مِبْدانـا[2]
٢٩ـ مثلوجـةَ الريق بعدَ النَّوم واضعـةً   عن ذي مَثَانٍ تَمُجُّ المسكَ والبانا[3]
٣٠ـ تَسْتاف بـالعَنْبر الهنـديّ قـاطعـةً   هَمَّ الضَّجيع فـلا دُنيـا كـدنيـانـا[4]
٣١ـ بتنـا نَرانـا كأنّـا مـالكونَ لنـا   يـا لَيْتَهـا صدَّقَتْ بـالحقّ رؤيـانـا
٣٢ـ قـالتْ تَعَزَّ فـإنَّ القومَ قـد جَعلوا   دُونَ الـزِّيـارة أبوابـاً وخُـزّانـا
٣٣ـ لَمّـا تبيَّنْتُ أنْ قـد حِيْـلَ دُونَهُمُ   ظَلَّتْ عساكِرُ مثلُ الموت تَغْشانا[5]
٣٤ـ يـا حَبَّـذا جبلُ الريّـان مِنْ جَبـلٍ   وحبَّـذا سـاكِنُ الريّـان مَنْ كانـا
٣٥ـ وحَبَّـذا نَفَحـاتٌ من يَمَـانيــةٍ   تأتيكَ مِنْ قِبَلِ الريّـان أحيـانـا[6]
٣٦ـ هَبَّت شَمالاً فـذِكرى مـاذكرتُكُم   عِنـدَ الصَّفـاة التي شَرقيَّ حَوْرانـا[7]

---

(١) رُوِيَ : أركانا وهي الجوانب .

(٢) الْخَودُ : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والطرق : الإتيان بالليل . المِبْدان : طيِّبة البدن .

(٣) المثاني : القرون المثنية بعضها على بعض وهي ذوائب الشعر .

(٤) استاف : اشتم .

(٥) العساكر : الظلمة والشدة .

(٦) نفحات : هبات الريح ووقعاتها . والريّان : جبل في ديار طيّئ غزير الماء . واليمانية : رياح الجنوب . وقيل الريان : جهته .

(٧) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحوران : دمشق على التوسع وهي إقليم على الجانب الآخر من نهر الأردن . وجبل حوران يسمى اليوم جبل الدروز نسبة إلى سكانه الحاليّين ، وهو أعلى جبل في إقليم شرق الأردن إذ يبلغ ارتفاعه ستة آلاف قدم .

٣٧ـ هَلْ يرجِعَنَّ وليسَ الدّهرُ مُرْتَجعاً عيشٌ بها طالما احلولى ومَا لانا

٣٨ـ أزمانَ يدعُونني الشيطانَ مِن غزلي وكُنَّ يَهوينني إذْ كُنتُ شيطانا

☆ ☆ ☆

شرح ديوان جرير ، جمعه وشرحه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص ٥٩٢ ـ ٥٩٧

- ١٠ -

وقالَ يهجو الأخطل :

١ ـ أجِدَّكَ لا يَصحو الفؤادُ الْمُعـذَّلُ ... وقد لاحَ مِن شَيبِ عِذارٍ ومِسْحَلُ[١]
٢ ـ ألا ليت أنَّ الظّاعنينَ بذي الغَضى ... أقاموا ، وأنَّ الآخرينَ تَحَمَّلوا
٣ ـ فيا أيُّها الوادي الذي بانَ أهلُهُ ... فساكِنُ واديهم حَمامٌ ، ودُخَّلُ[٢]
٤ ـ لِمَنْ راقَبَ الجوزاءَ ، أو باتَ ليلَهُ ... طويلٌ ، لَلَيلي بالْمَجازةِ أطولُ
٥ ـ بَكى دَوْبَلٌ ، لا يُرقِئ اللهُ دَمعَهُ ... ألا ، إنما يَبكي مِن الذُّلِّ دَوبلُ[٣]
٦ ـ جَزِعتَ ابنَ ذاتِ الفَلْسِ لَمّا تداركتْ ... مِن الحربِ ، أنيابٌ عليكَ ، وكَلكلُ[٤]
٧ ـ سَرَى نحوَكم ليلٌ ، كأنَّ نُجومَهُ ... مَصابيحُ ، فيهنَّ الذُّبالُ الْمُفتَّلُ[٥]
٨ ـ لقد قتلَ الجحّافُ أزواجَ نِسوةٍ ... يَفُوتُ ابنُ خَلاَّسٍ بهنَّ ، وعِزْهَلُ[٦]
٩ ـ تقولُ لكَ الثَّكلى الْمُصابُ حَميمُها : ... أبا مالكٍ ، ما في الظعائنِ مغْزَلُ[٧] !
١٠ ـ فما زالتِ القَتلى تَمُجُّ دِماءَها ... بدجلةَ ، حتّى ماءُ دِجلةَ أشكَلُ[٨]
١١ ـ بدجلةَ ، إنْ كَرُّوا فقَيسٌ وراءَهم ... صُفوفاً ، وإنْ رَامُوا الْمَخاضةَ أوحلُوا

---

(١) العذار : ما سال على الخدّ من اللحية . والمسحل : الصّدغ .
(٢) الدّخّل : ضرب من الطير .
(٣) دوبل : لقب الأخطل لقّبته به امرأة أبيه . والدوبل : الحمار الصغير .
(٤) الطابع من الرصاص تختم به رقاب أهل الذمّة .
(٥) الليل : الجيش الكثير السواد . والذبال . جمع ذبالة وهي الفتيلة .
(٦) الجحّاف : هو الجحّاف بن حكيم من قادة قيس ، وكان أغار على تغلب وأوقع بها موقعة مشهورة هي موقعة البشر .
(٧) المغزل : العزل .
(٨) الأشكل : الذي تخالطه الحمرة .

١٢ ـ فـإلاّ تَعَلّـقْ، مِن قريشٍ، بـذِمّــةٍ فليس على أسيـافِ قيسٍ مُعَـوَّلُ[1]
١٣ ـ لنـا الفَضـلُ في الـدُّنيـا، وأنفــك راغمٌ ونحن لكم، يـومَ القيـامــةِ، أفضـلُ[2]
١٤ ـ وقـد شَقّقَتْ يومَ الرَّحوبِ سيُوفُنـا عَواتقَ، لم يَثبُتْ عليهنّ مِحْمَـلُ[3]
١٥ ـ أجــارَ بنــو مروانَ مِنهم دِمــاءكم فَمَن مِن بني مروانَ أعلَى، وأفضلُ؟

☆ ☆ ☆

نقـائض جرير والأخطـل، ص٦٤-٦٩، وشرح ديـوان جرير للصــاوي، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧، مـع بعض الاختلاف في الرواية.

---

(١) المعوّل: الاعتماد والتعويل. يريد بذلك أن سيوفهم لا يؤمن جانبها.

(٢) لكم أي منكم.

(٣) العواتق: جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق. والمحمل: محمل السيف.

- ١١ -

قال الفرزدق(☆) يفخر ، ويهجو جريراً :

١ - إنَّ الـذي سَمَكَ السَّماء بَنى لنـا | بيتاً دعـائمُـه أعـزُّ وأطـول(١)
٢ - بيتاً بناه لنـا المليـكُ ومـا بَنَى | حَكَمُ السَّماء فـإنّـه لا يُنْقَـل(٢)
٣ - بيتـاً زُرَارةُ محتبٍ بفنـائِـه | ومُجاشعٌ وأبو الفوارس نَهْشَـل(٣)
٤ - يَلجون بَيْتَ مجاشعٍ وإذا احتَبَوا | بَرَزوا كأنَّهم الجبـالُ المُثَّـل(٤)
٥ - ضَرَبَت عليك العنكبوتُ بنسجها | وقَضَى عليك به الكتابُ المُنزل(٥)
٦ - أحـلامُنـا تَـزِنُ الجبـالَ رزانـةً | وتخـالُنـا جِنّـاً إذا مـا نَجْهَـل(٦)
٧ - فـادفَـعْ بكفّك إن أردت بنـاءَنـا | ثَهْلانَ ذا الهضبات هل يتحلحل(٧)
٨ - يـابنَ المراغـة أينَ خـالُـكَ ؟ إنني | خالي حُبَيش ذو الفعال الأفضل(٨)
٩ - خـالي الـذي غَصَبَ الملوكَ نفوسَهم | وإليـه كان حِبـاءُ جفنـةَ يُنْقَـل(٩)

(☆) هو أبو فراس همّام بن غالب التميمي ، ولد سنة ١٩ هـ ونشأ في البصرة فصيحاً شاعراً مجيداً . اتصل ببني أمية ومدح خلفاءهم على الرغم من تشيّعه الذي كان يستره . أظهر مرة هواه لعليّ بن الحسين فحبسه هشام بن عبد الملك . استعر الهجاء بينه وبين جرير طيلة عمره ، وكان فارساً من فرسان النقائض . توفي سنة ١١٤ ورثاه جرير .

(١) سمك السماء : رَفَعها .

(٢) المليك وحكم السماء : الله جلّ شأنه .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم بن مالك ، قوم الفرزدق . محتب بفنائه : قد اشتمل بالثوب في جلسة الوقور بفناء داره .

(٤) الاحتباء : أنْ يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بثوب أو نحوه . المُثَّل : المنتصبة الراسخة .

(٥) ضربت عليك العنكبوت : يريد أنَّ بيت جرير واهن ذليل كخيوط بيت العنكبوت .

(٦) أحلامنا : عقولنا . نجهل : نغضب ونثور .

(٧) ثهلان : جبل بنجد . يتحلحل : يزول ويتحرك .

(٨ ، ٩) المراغة : الأتان ، وهو لقب نُبزت به أمّ جرير . حبيش بن دارم : خال الفرزدق وكان قد أسر =

١٠ ـ وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكرام وما بنَوا إنَّ اللئيم عن المكارم يُشْغَـــلُ

فأجابه جرير بأبيات يهجوه فيها وينقض فخره ، منها :

١ ـ أعددتُ للشُّعراء سُمّاً ناقعاً فسقيت آخرَهم بكأسِ الأول[١]

٢ ـ لمّا وَضَعْتُ على الفرزدق ميسمي
وضَغَا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطلِ[٢]

٣ ـ أخزى الذي سمكَ السَّماء مجاشعاً وبَنى بناءَك في الحضيض الأسفلِ[٣]

٤ ـ ولقد بَنَيْتَ أخسَّ بيتٍ يُبْتَنى فهدمتُ بيتكُمُ بمِثْلي يَذْبُلِ[٤]

٥ ـ إنِّي بَنَى لي في المكارم أوّلي ونفختَ كيرك في الزمان الأوّلِ[٥]

٦ ـ إنِّي انصببتُ من السَّماء عليكُمُ حتّى اختطفتك يا فرزدقُ من علِ[٦]

٧ ـ أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً ويفوقُ جاهِلنا فعالَ الْجُهَّلِ

٨ ـ فارجعْ إلى حَكَمَي قريشٍ إنَّهم أهلُ النبوة والكتاب المنزل[٧]

٩ ـ كان الفرزدقُ إذ يعوذ بخالِه مِثْلَ الذليل يعوذُ تحت القَرْمَلِ[٨]

= عمرو بن الحارث أحد ملوك الغساسنة ، وجذ ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث إليه بجزية من المال كلَّ عام حتّى يموت .

(١) السم الناقع : القاتل .

(٢) الميسم : المكواة والمراد الأهاجي . ضغا : ذلَّ . جَدَع : قطع .

(٣) أخزى : أذلّ . الحضيض : أسفل الجبل .

(٤) أخسّ : أدنأ . يَذْبُل : جبل بنجد .

(٥) الكير : منفاخ الحداد .

(٦) عل : أعلى .

(٧) حكما قريش : هاشم وعبد مناف . الكتاب المنزل : القرآن .

(٨) القرمل : شجر ضعيف لا ورق له .

١٠ ـ إنّ الـذي سمــكَ السّماء بنى لنــا عِـزّاً عَـلاك فمــالــهُ من مَنْقَــل[1]
١١ ـ أبلــغْ بني وقبـــانَ أنّ حلــومَهُمْ خفّت فـلا يَـزِنـون حَبّـة خَرْدل[2]
١٢ ـ ألهى أبـــاك عن المكارم والعُــلا ليُّ الكتــائفِ وارتفــاع المِرْجَـل[3]

☆ ☆ ☆

شرح ديـوان جرير ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٧ ، وجرير لمحمـد إبراهيم جمعـة ، سلسلـة نـوابغ الفكر العربي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩

نقائض جرير والفرزدق ، ليدن ، ١٩٠٥ ، ١/١٨٢

---

(١) علاك : قهرك . منقل : تحول وانتقال .
(٢) بنو وقبان : مجاشع قوم الفرزدق . خفّت : طاشت . الخردل : أخف الحبوب وزناً .
(٣) ليّ الكتائف : ثني الحديد أو فتل الحبال . المرجل : القدر .

-١٢-

قالَ الفرزدقُ يهجو إبليسَ ويعلنُ توبته[١] :

١ ـ ألم تَرَني عـــاهــــدْتُ ربّي وإنَّني ... لَبَيْنَ رِتـــاجٍ قـــائمٌ ومَقَـــامِ[٢]
٢ ـ على حَلفــةٍ لا أشتمُ الـدَّهرَ مسلماً ... ولا خـارجاً مِن فِيِّ زُورُ كَـلامِ[٣]
٣ ـ ألم تَرَني والشّعرَ أصبــحَ بيننــــا ... دُروءٌ مِن الإسـلام ذاتُ حَـوامِ[٤]
٤ ـ أطعتُك يـا إبليسُ سبعين حِجّـةً ... فلَمّـــا انتهى شَيبي وتمّ تمــامي[٥]
٥ ـ رَجَعتُ إلى ربّي وأيقنتُ أنّني ... مُـلاقٍ لأيّـامِ المنـونِ حِمَـامي
٦ ـ فكم من قُرونٍ قد أطاعوكَ أصبحوا ... أحــاديثَ كانـوا في ظِـلالِ غَمامِ[٦]
٧ ـ ومـا أنتَ يـا إبليسُ بـالمرءِ أبتغي ... رِضـاهُ، ولا يقتــادُني بِـزِمــامِ

☆ ☆ ☆

ديوان الفرزدق ، جمعه عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ٢/٧٦٩

---

(١) كان الفرردق قد دخل المربد في آخر عمره ، فلقي رجلاً من موالي باهلة ومعه زق من سمن يبيعه ، فسامه الفرردق به ، فقال : أدفعه إليك وتهب لي أعراض قومي ، ففعل وقال القصيدة .

(٢) الرتاج : باب الكعبة ، والمقام : مقام إبراهيم .

(٣) على حلفة : أي على قَسَم .

(٤) دروء : موانع ، وأصلها كسور الطريق ، والحوامي : ج حامية وهي الحجارة .

(٥) الحِجّة : السنة . تم تمامي : بلغت أجلي ونهايتي .

(٦) القرون ج قرن وهو أهل زمان واحد . أصبحوا أحاديث : مضوا وصاروا أخباراً .

ـ ١٣ ـ

قالَ الأخطل[☆] يمدحُ عبدَ الملك بنَ مروان[١] :

١ ـ خَفَّ القطينُ، فراحُوا مِنكَ، أو بكَرُوا ... وأزعجتهم نَوىً، في صَرْفِها غِيَرُ[٢]
٢ ـ كأنّني شَارِبٌ، يومَ استُبِدَّ بهمْ ... مِن قَرْقَفٍ، ضُمّنَتْها حِمصُ، أو جَدَرُ[٣]
٣ ـ جَادَتْ بها، من ذَواتِ القارِ، مُتْرَعةٌ ... كلفاءُ، يَنْحَتُّ عن خُرْطُومِها الْمَدَرُ[٤]
٤ ـ لَذٌّ، أصابَتْ حُمَيَّاها مَقَاتِلَهُ ... فلم تَكَدْ تَنْجلي عن قَلْبِهِ الْخُمَرُ[٥]
٥ ـ كأنّني ذاكَ، أو ذو لوعةٍ، خَبَلَتْ ... أوْصَالَهُ، أو أصابَتْ قَلْبَهُ النُّشَرُ[٦]
٦ ـ شوقاً إليهم، ووَجْداً، يومَ أُتْبِعُهُمْ ... طَرْفي، ومِنْهُمْ، بِجَنْبي كوكبٍ، زُمَرُ[٧]

(☆) هو غياث بن غوث التغلبي، نشأ في تغلب نصرانياً وظلَّ على دينه مع أنه صار شاعر بني أمية. هجا الأنصار بتحريض من يزيد بن معاوية. ثم طارت شهرته واستعمله بنو أمية مدافعاً عنهم وعن حلفهم القبلي والسياسي. خاض معارك السياسة وأخلص الأمويين أحسن مدائحه. أسهم في النقائض منافحاً عن اليمنيه واستعر الهجاء بينه وبين جرير الذي بزّه، وكان الأخطل شيخاً فلم يثبت لجرير. توفي سنة ٩٢ هـ.

(١) زعم الأخطل أنه أفنى في نظم هذه القصيدة حولاً وما بلغ بها كلَّ ما أراد.

(٢) خفَّ : أسرع. والقطين : المجاورون. وأزعجتهم : أشخصتهم. والنوى : الوجهة التي يقصدون. والصرف : التقلب. والغير : التغيّر.

(٣) استبدّ بهم : غَلب عليهم وذَهب بهم. والقرقف : الخمرة التي ترعد صاحبها. وحمص وجدر : موضعان بالشام.

(٤) المترعة : الخابية المملوءة. وذوات القار : المطلية بالزفت. والكلفاء : التي في لونها كلف وهو بين السواد والحمرة. وينحتُّ المدر : يُفضُّ ختام الخابية من الطين. والخرطوم : أول ما ينزل من الخمر.

(٥) حُمَيّا الخمرة : شدّتها وصالبها.

(٦) خبلت : أفسدت. والأوصال : المفاصل أو الأعضاء. واحدها وصل. والنشر : جمع نشرة وهي التعويذة والرُّقية.

(٧) كوكب : رابية بالخابور. والزمر : الجماعات. واحدها زمرة.

٧ـ حَثُّوا الْمَطِيَّ، فَوَلَّتْنَا مناكِبَها وفي الْخُدُور، إذا باغَمْتَها، الصُّوَرُ[١]

٨ـ يَبْرِقْنَ للقوم، حتّى يَخْتَبِلْنَهُمُ ورأيُهُنَّ ضعيفٌ، حينَ يُخْتَبَرُ[٢]

٩ـ ياقاتلَ اللهُ وَصْلَ الغانياتِ، إذا أيْقَنَّ أنّكَ ممَّن قد زَهَا الكِبَرُ[٣]

١٠ـ أعْرَضْنَ لَمَّا حَنَى قوسي مُوتِّرُهَا وابيضَّ، بعدَ سوادِ اللِّمَّةِ، الشَّعَرُ[٤]

١١ـ ما يَرْعَوينَ إلى داعٍ لحاجتِهِ ولا لَهُنَّ، إلى ذي شَيْبَةٍ، وَطَرُ[٥]

١٢ـ شَرَّقْنَ إذْ عَصَرَ العيدانَ بارِحُها وأيْبَسَتْ، غيرَ مجرى السِّنَّة، الْخُضَرُ[٦]

١٣ـ فالعَيْنُ عانيةٌ بالماء، تسْفَحُهُ من نِيَّةٍ، في تَلاقي أهلِها ضَرَرُ[٧]

١٤ـ مُنْقَضِبِيْنَ انقضابَ الحبل، يَتْبَعُهُمْ بَيْنَ الشَّقيق وعَيْنِ الْمَقْسِمِ البَصَرُ[٨]

١٥ـ في نَبْعَةٍ، مِن قُرَيش، يَعْصِبُون بها ما إنْ يُوازى بأعلى نَبتِها الشَّجَرُ[٩]

١٦ـ تَعلو الهضابَ، وحَلُّوا في أرومتها أهلُ الرِّباء، وأهلُ الفَخر، إنْ فَخَروا[١٠]

١٧ـ حُشْدٌ على الحقِّ، عيَّافو الخنا، أُنُفٌ إذا أَلَمَّت بهم مكروهةٌ صَبَروا[١١]

---

(١) المطي : الإبل التي تمتطى . والصُّور : الدمى .

(٢) ويروى : « يحتبلنهم » اي : يلقينهم في الحبالة . ومحتبلنهم : يخدعنهم ويفسدن قلوبهم .

(٣) أراد بقوله : « قاتل الله » التعجب لا الدعاء .

(٤) القوس : الظهر المنحنية . وموتّرها : الله عزّ وجلّ . واللِّمة : الشَّعر المجتمع .

(٥) يرعوي : يعطف . والوطر : الحاجة .

(٦) عصر العيدان : أيبسها . والبارح : الريح الباردة . وأراد بمجرى السنة : الزرع ، وهو آخر ما يجفّ .

(٧) أي : في تلاقيهم ضيق ، لا يستطيعون أن يلتقوا لكثرتهم .

(٨) عين المقسم : بئر في ذلك الموضع . يريد أن الشقيق واحد الشقائق . وقيل إن الشقيق اسم رجل .

(٩) يعصبون بها أي : يجتمعون حولها . والنَّبعة : ضرب من الشجر ، وهي أجوده .

(١٠) حَلّوا : نزلوا . والأرومة : الأصل . والرِّباء : العدد والكثرة .

(١١) الحشد : المتحاشدون . وأصل الحشد بضم الشين فخفف . وهو جمع حَشِد . والعيَّاف : الشديد الكره . والخنا : الفحش . والأُنُف : جمع أنوف وأنِف .

١٨ - وإنْ تَدجَّت على الآفاق مظلمةٌ　　كانَ لهم مخرجٌ منها، ومُعْتَصَرُ[(١)]

١٩ - أعطاهُمُ اللهُ جَدّاً، يُنْصَرون بهِ　　لا جَدَّ إلاّ صغيرٌ، بَعْدُ، مُحْتَقَرُ[(٢)]

٢٠ - لم يَأْشَرُوا فيهِ إذْ كانُوا مواليَهُ　　ولو يكونُ لِقومٍ، غيرِهم، أشِرُوا[(٣)]

٢١ - شُمْسُ العَداوةِ، حتّى يُسْتقادَ لَهُمْ　　وأعظمُ النّاسِ أحلاماً، إذا قَدَرُوا[(٤)]

٢٢ - لا يَسْتَقِلُّ ذَوو الأضغانِ حَرْبَهُمُ　　ولا يُبَيِّنُ في عِيدانِهم خَوَرُ[(٥)]

٢٣ - هم الذين يُبارُون الرِّياحَ، إذا　　قَلَّ الطَّعامُ على العافِينَ، أو قَتَرُوا[(٦)]

٢٤ - بَنِي أُميَّةَ، نُعْمَاكُمْ مُجَلِّلَةٌ　　تَمَّتْ، فلا مِنَّةٌ فيها، ولا كَدَرُ[(٧)]

٢٥ - بني أُميَّةَ، قد ناضلتُ دونَكُمُ　　أبناءَ قومٍ، هُمُ آوَوْا، وهُمْ نَصَرُوا[(٨)]

٢٦ - أفْحَمتُ عنكم بني النَّجّار، قَدْ عَلِمَتْ　　عُلْيَا مَعَدٍّ، وكانوا طالَما هَدَرُوا[(٩)]

٢٧ - حتّى استكانوا وهُمْ مِنّي على مَضَضٍ　　والقولُ ينفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ[(١٠)]

٢٨ - بني أُميَّةَ، إنّي ناصِحٌ لكُمُ　　فلا يَبِيتَنَّ فيكم آمِناً زُفَرُ[(١١)]

٢٩ - واتَّخِذُوهُ عدوّاً، إنَّ شاهِدَهُ　　وما تغيَّبَ، مِن أخلاقِهِ، دَعَرُ

---

(١) تدجت : أظلمت . والمعتصر : الملجأ . يقول : إذا وتن الناس كان الممدوحون غياثهم وملجأهم الذي إليه يفرّون .

(٢) الجَدّ : الحظّ .

(٣) أشر : بطر . والموالي : الأولياء .

(٤) الشُّمس : جمع شموس وهو الصعب العَسِر .

(٥) يستقل : يطيق . والأضغان : الأحقاد . ويبيّن : يظهر ويبدو . والخَوَر : الضعف .

(٦) العافون : جمع عافٍ وهو طالب الخير والعطاء . وقتروا : أصابهم إقلال من الماء .

(٧) المجلِّلة : العامة الشاملة ، والكدر : التنغيص .

(٨) أراد بالقوم : الأنصار .

(٩) أفحمته : أسكتّه وقطعته عن قول الشعر .

(١٠) المضض : الوجع .

(١١) زفر ، هو زفر بن الحارث زعيم قيس وعدو تغلب والأمويين . وكان قد دخل في طاعة عبد الملك بن مروان .

٣٠ـ إنّ الضّغينةَ تلقاها وإن قَدُمَتْ، كالعَرِّ، يكْمُنَ حيناً، ثمّ يَنْتشرُ[١]

٣١ـ وقد نُصِرْتَ، أميرَ المؤمنين، بنا لَمّا أتاكَ ببطنِ الغُوطةِ الْخَبَرُ[٢]

٣٢ـ يُعَرّفُونكَ رأسَ ابنِ الْحُبَابِ، وقد أضْحَى، وللسّيفِ في خَيْشُومِهِ أَثَرُ[٣]

٣٣ـ لا يَسْمَعُ الصّوتَ، مُسْتَكّاً مَسَامِعُهُ وليسَ ينطِقُ، حتّى ينطِقَ الْحَجَرُ[٤]

٣٤ـ أمْسَت إلى جانبِ الْحَشّاكِ جيفتُهُ ورأسُهُ دُونَهُ اليحمُومُ، والصّوَرُ[٥]

٣٥ـ يسألُهُ الصُّبْرُ مِن غَسّانَ، إذْ حَضَروا، والْحَزْنُ: كيفَ قَراكَ الغِلمةُ الْجَشَرُ[٦]

٣٦ـ والحارثَ بن أبي عوف، لَعِبْنَ بهِ حتّى تَعَاوَرَه العِقبانُ، والسُّبَرُ[٧]

٣٧ـ وقيسَ عَيلانَ، حتّى أقبلوا رَقَصاً فَبَايَعُوكَ جِهاراً، بعدَ ما كفَرُوا[٨]

٣٨ـ فلا هَدَى اللهُ قَيْساً مِن ضَلالتهم ولا لعاً لبني ذَكْوان إذْ عَثَروا[٩]

٣٩ـ ضَجّوا مِن الحربِ، إذْ عَضّت غواربَهُم وقَيْسُ عَيلانَ، مِن أخلاقِها الضّجَرُ[١٠]

---

(١) العَرّ: الجرب.

(٢) الخبر: خبر مقتل عمير بن الحباب. ولما انتهى الأخطل في الإنشاد إلى هذا البيت قال له عبد الملك: بل الله أيدني. لكن قيساً ما لبثت أن نكّلت بتغلب انتقاماً لفارسها عمير بن الحباب.

(٣) الخيشوم: أعلى الأنف.

(٤) المستكّ: الأصمّ.

(٥) الحشاك واليحموم والصور: أسماء مواضع.

(٦) «الجشر»: الذين يعزبون في إبلهم. رجلٌ جاشر، وقوم جَشَر وجُشّار. وكان عُمير يقول: إنما بنو تغلب جَشَر لي، آخذ منهم ما شئت. فلمّا مرُّوا برأسه على هؤلاء القبائل قالوا: كيف رأيتَ قِرى غلمتك الْجَشَر؟ مستهزئين به. و«الْحَزْن»: معاوية بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد. و«الصُّبْر»: قبائل منها عمرو بن الحارث من الأزد، وهي قبائل بالشام من غسّان، مرُّوا برأس عُمير عليهم.

(٧) تعاوره: تنازعه وتداوله.

(٨) الرَّقَص: السرعة في الجري. وكفروا أي: جحدوا خلافتك. يشير إلى دخول قيس في طاعة عبد الملك.

(٩) لالعاً أي: لا أقامهم الله من عثرتهم.

(١٠) الغوارب: جمع غارب وهو أعلى الكتف.

٤٠ ـ كانوا ذوي إمّـةٍ، حتّى إذا عَلِقَتْ ... بهم حبائلُ للشّيطـان، وابتَهَروا[1]

٤١ ـ صُكُّوا على شارفٍ، صَعْبٍ مَراكِبُها ... حَصّاءَ، ليسَ لها هُلْبٌ، ولا وَبَرُ[2]

٤٢ ـ ولم يَـزَلْ بِسُلَيمٍ أمْرُ جـاهِلِهـا ... حتّى تَعَيّا بِها الإيرادُ، والصَّدَرُ[3]

٤٣ ـ إذْ يَنظرون، وهُمْ يَجنون حَنْظلهم، ... إلى الزّوابي، فقُلْنا: بُعْدَ ما نَظَروا[4]

٤٤ ـ كَرّوا إلى حَرَّتيهم، يعمُرُونَها ... كما تكرُّ إلى أوطـانِهـا البَقَرُ[5]

٤٥ ـ فـأصْبَحَتْ مِنهُمُ سِنجارُ خـاليـةً ... فالْمَحْلَبِيّاتُ، فالخـابُورُ فـالسُّرَرُ[6]

٤٦ ـ ومـا يُـلاقـون فَرّاصـاً إلى نَسَبٍ ... حتّى يُلاقي جَـدْيَ الفرقَـدِ القَمَرُ[7]

٤٧ ـ ولا الضِّبـابَ، إذا اخضرّتْ عيونُهُم ... ولا عُصَيَّـةَ، إلا أنّهم بَشَرُ[8]

٤٨ ـ ومـا سَعَى مِنهُمُ سـاعٍ، لِيُـدْرِكَنـا ... إلاّ تقـاصرَ عنّـا، وهُـوَ مُنْبهِرُ[9]

٤٩ ـ وقـد أصـابَتْ كِلاباً مِن عَـدَاوتِنـا ... إحدى الدّواهي التي تُخْشى، وتُنْتَظرُ

٥٠ ـ وقــد تَفـاقَمَ أمرٌ، غيرُ ملتئِمٍ ... مـا بَيننـا فيـه أرحـامٌ، ولا عِـذَرُ[10]

---

(١) الابتهار: قذف الإنسان بالباطل، والإمّة: النعمة.

(٢) الشارف: الناقة الكبيرة الهرمة. والحصّاء: التي لا وَبَرَ لها. والهُلْب: شعر الذنب.

(٣) أراد بجاهل سليم: عُمير بن الحُبَاب. وتعيّابها: اشتدّ فعَجَزَت عنه. والإيراد: الورود. والصَّدَر: الرجوع.

(٤) استعار الحنظل لما جنته الحرب. وقيل: الحنظل هو ما تجنيه سليم في ديارها. والزوابي: أنهار في الجزيرة مفردها الزابي وهو الزاب. يقول: طمعوا فينا في ديارنا فما أبعد ما نظروا.

(٥) حرّة بني سليم هي أم صبّار. ويقال: إنها شرُّ مكان بالبادية. وجعلها الأخطل مثنىً.

(٦) سنجار والحلبيات والخابور والسرر: مواضع في الجزيرة.

(٧) جَدْي الفرقد: نجم يدور مع بنات نعش ولا ينزل به القمر أبداً.

(٨) اخضرّت: اسودّت.

(٩) المنبهر: المعيي. يقال: انبهر إذا انقطع نَفَسه وتتابع من الإعياء.

(١٠) تفاقم: اشتد اختلافه وفسد. والملتئم: المتفق المجتمع. والأرحام: الأنساب. والعذر: المعاذير. وهي جمع عذرة.

٥١ـ أمـا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُـوعٍ فليسَ لَهُمْ عِنْـدَ المكارمِ لا وِرْدٌ، ولا صَـدَرُ[١]
٥٢ـ مُخَلَّفـون، ويَقضي النَّـاسُ أمْرَهُمُ وهُمْ بغَيْبٍ، وفي عَمياءَ، ما شَعَرُوا[٢]
٥٣ـ مُلَطَّمـون بـأعقـارِ الحِياض، فَمَـا يَنْفـكُّ، من دارميٌّ، فيهم، أثَرُ[٣]
٥٤ـ بئسَ الصُّحـاةُ، وبئسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ إذا جرى فيهمِ المُـزَّاءُ، والسَّكَرُ[٤]
٥٥ـ قَـوْمٌ تَنـاهَتْ إليهم كلُّ فـاحِشـةٍ وكلُّ مُخْـزيَـةٍ، سُبَّتْ بهـا مُضَرُ
٥٦ـ على العِيارات هَدَّاجُونَ، قد بَلَغتْ نجرانَ، أو حُدِّثَتْ سوءاتِهم هَجَرُ[٥]
٥٧ـ الآكِلونَ، خبيثَ الـزَّادِ وحْـدَهُمُ والسائِلونَ بظهرِ الغَيْبِ: ما الخبرُ[٦]؟
٥٨ـ ومـا غُـدانَـةُ في شيءٍ، مكانَهُمُ، ألحابِسو الشَّاءِ، حتَّى تفضَلَ السُّؤَرُ[٧]
٥٩ـ يَتَّصلـون بيربُـوعٍ، ورِفْـدُهُمُ عنـدَ التَّرافُـدِ مغمـورٌ، ومُحْتَقَرُ
٦٠ـ قـد أقْسَم المجـدُ حقّـاً لا يُحـالِفُهُمْ حتَّى يُحـالِفَ بطنَ الرَّاحـةِ الشَّعَرُ

☆ ☆ ☆

شعر الأخطـل، صنعـة السكّري، تحقيق د. فخر الـدين قبـاوة، دار الأصمعي بحلب، د. ت، ١٩٢/١ ـ ٢١١

(١) كليب بن يربوع: رهط جرير.
(٢) الغيب: ما غابَ من الأرض وتطامن. والعمياء: الجهالة.
(٣) الأعقار: جمع عقر وهو مقام الشاربة من الحوض، وهو أقصى الحوض حيث تضع الإبل أخفافها.
(٤) المزاء: شراب رديء لأنه آخذ في حدّ الحموضة. والشَّرْب: جماعة الشاربين. والسَّكَر: ضرب من الأشربة.
(٥) العيارات: جمع عير وهو الحمار. ونجران: اسم موضع باليمن. وسوءاتهم: فضائحهم. وهَجَر: موضع في البحرين.
(٦) خبيث الزاد: أي: لحم اليرابيع والضباب.
(٧) السُّؤر: جمع سؤر وهو ما يفضل في الإناء أو الحوض. يقول: هم أذلاء لا يستطيعون أن يسقوا شاءهم حتى يشرب الأقوياء، وإنما يسقون ممّا أفضل الأشراف.

قالَ الكُمَيت(☆) :

١ - طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي وذو الشوق يَلْعَبُ(١)
٢ - ولم يُلْهِني دارٌ ولا رسمُ مَنزلٍ ولم يَتَطَرَّبْني بَنَانٌ مُخضَّبُ(٢)
٣ - ولا أنا مِمّن يـزجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ أصاحَ غُرابٌ أم تَعَرَّض ثَعْلَبُ(٣)
٤ - ولا السانحاتُ البارحات عشيّةً أمرَّ سليمُ القرنِ أمْ مَرَّ أعضبُ(٤)
٥ - ولكنْ إلى أهل الفضائل والنُّهى وخيرِ بني حوّاء والخيرُ يُطْلَب(٥)
٦ - إلى النَّفر البيض الـذين بِحُبّهم إلى الله فيما نالني أتقرَّبُ

(☆) هو الكُمَيت بن زيد الأسدي ، ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ في الكوفة شاعراً فصيحاً عالماً بأيام العرب وأنسابها وأخبارها . احترف تعليم الصبيان في مسجد الكوفة . كان متشيعاً واشتهر بقصائد مطولة دعيت بالهاشميات . أسهم الكميت في المهاجاة بين اليانية والقيسية ، وكان مدافعاً عن آل عليّ وشيعته ومضر كلّها . توفي سنة ١٢٦ هـ .

(١) الطرب : خفّة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن أو الهمّ ، البيض : المراد بها النساء الحسان ، ويريد بالبياض هنا نقاء اللون من الكلف والسواد . وتقول العرب أيضاً : فلان أبيض تشير إلى أنه نقي العرض من الدّنس والعيوب .

(٢) تطرب وأطرب واحد . البنان : الأصابع ، وقيل أطرافها . واحدتها بَنانة ، مخضّب بالحناء .

(٣) الزجر : المنع والنهي ، والزجر : أن تزجر طيراً أو ظبياً سانحاً أو بارحاً فتتطير منه وقد نُهي عن الطيرة ، والثعلب : من السباع معروف ، والأنثى ثعلبة ، تعرّض الثعلب في طريقه : أي تعوج وزاغ ولم يستقم في السير .

(٤) السانح من الظباء والطير الذي يجيء من يسارك فيوليك ميامنه ، والبارح ما يجيء من يمينك فيوليك مياسره . وأهل الحجاز يتشاءمون بالسانح ، وأهل نجد يتشاءمون بالبارح . سليم القرن :الذي يتيمن به . والأعضب : المكسور أحد القرنين وهو مما يتشاءم به .

(٥) يقول : لم أطرب شوقاً إلى البيض الحسان ، ولم يُلهني البَنَان المخضَّب ، ولكن طربي إلى أهل الفضل والشرف وهم بنو هاشم .

٧ـ بني هاشم رهطِ النّبي فإنّني ... بهم ولهم أرضى مِراراً وأغضَبُ[(١)]
٨ـ خَفَضْتُ لهم منّي جناحَيْ مودةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطْفاه أهلٌ ومَرْحَبُ
٩ـ وكنتُ لهم مِن هؤلاكَ وهؤلا ... مِجَنّاً على أنّي أذَمُّ وأُقْصَبُ[(٢)]
١٠ـ وأُرْمَى وأرْمي بالعداوة أهلَها ... وإني لأُؤذى فيهم وأُؤَنَّب[(٣)]
١١ـ بأيِّ كتابٍ أم بأيةِ سُنّةٍ ... تَرَى حُبَّهُم عاراً عليَّ وتَحْسِب[(٤)]
١٢ـ فما لِيَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ... وما لِيَ إلا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَب[(٥)]
١٣ـ ومَنْ غَيْرَهم أرضى لنفسيَ شيعةً ... ومَنْ بَعْدَهُم لا مَن أُجِلُّ وأرْجَب[(٦)]
١٤ـ إليكم ذَوي آل النّبي تطلَّعت ... نوازعُ من قلبي ظِماءٌ وألْبُبُ[(٧)]
١٥ـ فإني عن الأمر الذي تكرهُونَه ... بقولي وفعلي ما استطعتُ لأجْنَبُ
١٦ـ يشيرون بالأيدي إليَّ وقولُهُم ... ألا خابَ هذا والمشيرون أخْيَبُ
١٧ـ فطائفةٌ قد كَفَّرتني بِحُبِّكم ... وطائفةٌ قالوا مُسيءٌ ومُذْنِب[(٨)]

(١) هاشم بن عبد مناف وهو جدّ الرسول ﷺ ، ومنه تفرّعت بنو هاشم .
(٢) لهم : أي لبني هاشم . مجنّاً : أي أدافع عنهم بلساني مثل المِجَنّ ؛ وهو الترس وقوله من هؤلاك وهؤلا : إشارة إلى من ناصب علياً العداء من الخوارج . أُقصب أي أُشتم .
(٣) أُرمى : أي يرمونني بالعداوة ، وأرمي أنا أهل العداوة باللوم والسخافة . أُودى : أي أسمع ما يؤذيني . أُؤنّب : من التأنيب : التوبيخ .
(٤) بأيّ كتاب أنزل من عند الله ، أم بأية سنة أتى بها الرسول تدلّك على أنّ حبّ آل البيت وتمجيدهم عار وضلال .
(٥) الشيعة : الأولياء والأنصار . المشعب : الطريق ، ومشعب الحق : طريقه المفرّق بين الحق والباطل .
(٦) أرجب : أهاب وأعظم .
(٧) ذوي آل النّبي : يعني أصحابهم والعلماء وأهل الرأي فيهم . تطلعت : أي اشتاقت . نوازع : جمع نازع ومنه نزع الإنسان إلى أهله ، والبعير إلى وطنه : حنّ ، وكلّ حانٌ إلى وطنه فهو نازع إليه . ظِماء : عطاش ، ألبب : جمع لبّ وهو العقل . (أي حنّت إليكم القلوب ، وتعطشت لفضائلكم العقول) .
(٨) فطائفة أي من الخوارج الذين يخطئون علياً : من مذهبها تكفير من يميل لآل البيت . وطائفة تفسقه وتجعله عاصياً مذنباً .

١٨ـ فما سَاءَني تكفيرُ هـاتيـك مِنهُم ... ولا عيبُ هـاتيك التي هي أعْيَبُ
١٩ـ يَعيبـونَني من خِبِّهم وضَـلالهم ... على حُبِّكم بل يَسْخَرونَ وأعْجَب[1]
٢٠ـ وقـالـوا تُرابيٌّ هَـواه ورأيُـه ... بـذلـك أُدْعَى فِيهُم وأُلقَّب[2]
٢١ـ على ذاكَ إجْرِيَّـايَ فيكُم ضَرِيبتي ... ولـو جَمَعُـوا طُرّاً عليّ وأجْلَبُـوا[3]
٢٢ـ وأحمِـلُ أحقـادَ الأقـارب فيكُمُ ... ويُنْصَبُ لي في الأبعدين فأنْصَب[4]
٢٣ـ بخـاتِمكُم غَصْبـاً تجُوزُ أمُـورهُم ... فلم أرَ غصبـاً مثلَـهُ يُتَغصَّب[5]
٢٤ـ وَجَـدْنـا لكم في آلِ حـاميمَ آيـةً ... تـأوَّلهـا منّـا تقيٌّ ومُعْرِب[6]
٢٥ـ وفي غيرهـا آيـاً تتـابعَتْ ... لكُم نَصَبٌ فيها لِذي الشَّكِّ مُنْصِب[7]
٢٦ـ وقـالـوا ورثنـاهـا أبـانـا وأمّنـا ... ومـا وَرَّثَتْهُم ذاك أمٌّ ولا أبُ
٢٧ـ يَرَون لهم حقّاً على النَّاس واجباً ... سَفَاهـاً وحـقُّ الهـاشميين أوْجَبُ
٢٨ـ ولكنْ مـواريثُ ابن آمنـةَ الـذي ... بـه دانَ شرقيٌّ لكم ومُغَرِّبُ[8]

---

(١) الخِبّ الفساد والخبث والخداع .
(٢) ترابي : يريد النسبة إلى أبي تراب وهو عليّ ، أطلقه عليه الرسول ﷺ عندما نعس فنام فسفت الريح التراب على عليّ .
(٣) الإجرياء . العادة ، والوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه . يقال فلان من إجريّاه الكرم أي من طبيعته . الضريبة . الطبيعة . أجلبوا : تجمّعوا عليّ وتألّبوا .
(٤) نصب فلان لفلان نصباً إذا قصد له وعاداه . وناصبه الشرّ والعداوة ، والحربَ مناصبة : أظهر له . يقول . احتمل حقد الأقارب عليّ من أجلكم وأناصب العداوة لمن يظهر لي العداوة من الأبعدين .
(٥) خاتم الخلافة ، يقول : لولا خاتم الخلافة الذي اغتصبتموه من بني هاشم لم تكن لكم كلمة نافذة في الرعية
(٦) يقال . آل حاميم للسور التي أولها حم ، والآية هي قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ . والتقيّ هنا الذي يتقي الخوض في الأمور ويلتزم السكوت . والمُعْرِب : المُبين .
(٧) النُّصب القلم المنصب . المُتعب .
(٨) ابن آمنة : رسول الله . مواريث : جمع ميراث . دانَ : خضع وأطاع .

٢٩ـ فِـدىً لـكَ مـوروثـاً أبي وأبـو أبي ... ونفسي ونفسي بعدُ بالنَّـاس أطيبُ
٣٠ـ فيـا مـوقـداً نـاراً لِغيرك ضـوؤهـا ... ويا حاطباً في غير حَبلك تَحْطِبُ
٣١ـ ألم تَرَني من حُبِّ آل محمَّـــــدٍ ... أروحُ وأغـــدو خـــائفـــاً أتَرقَّبُ
٣٢ـ كأنّي جَــــانٍ مُحْـــــدِثٌ وكأنَّما ... بِهِم أُتَّقَى من خَشْيةِ العـار أجْرَبُ
٣٣ـ على أيِّ جُرْمٍ أم بـــأيَّـــةِ سيرةٍ ... أُعَنَّفُ في تَقريظهم وأُؤنَّبُ
٣٤ـ أُناسٌ بهم عزَّت قريشٌ فـأصبحـوا ... وفيهم خِباءُ المكرُمَـات الْمُطَنَّب[١]
٣٥ـ مُصَفَّون في الأحساب مَحْضُون نجرُهم ... هُمُ الْمَحْضُ منَّا والصَّريحُ الْمُهـذَّب[٢]
٣٦ـ خِضَمُّـون أشرافٌ لَهَــاميمُ سَـــادةٌ ... مطاعيمُ أيْسارٌ إذا النَّاسُ أجدبوا[٣]
٣٧ـ إذا ادلَمَّسَتْ ظلماءُ أمرين حِنْدِسٍ ... فَبَـدْرٌ لهم فيهـا مضيءٌ وكـوكـب[٤]
٣٨ـ مَساميحُ منهم قـائلـون وفـاعِـلٌ ... وسَبَّاقُ غايـاتٍ إلى الخير مُشْهِب[٥]
٣٩ـ أُولاك نبيٌّ الله منهم وجَعفرٌ ... وحَمـزةُ ليثُ الفيلقين الْمُجَرَّب[٦]
٤٠ـ قتيلُ التَّجُوبيِّ الـذي استوْأرَتْ به ... يُسَاقُ بـه سوقـاً عنيفـاً ويُجْنَب[٧]
٤١ـ ومِن أكبرِ الأحـداثِ كانت مصيبـةً ... علينـا قتيـلُ الأدعيـاء الْمُلحَّب[٨]

---

(١) المطنَّب : المحدود بالطنب وهي حبال الخيمة .

(٢) النَّجر والنِّجار : الأصل والمحض الخالص ، مثل الصريح ، الأحساب : شرف الآباء .

(٣) الخضمّ : الكريم . لهاميم : جمع لهموم : السيِّد . أيْسار : كرام ، جمع يسر

(٤) ادلّس الليل : إذا اشتدّ في ظلمته وهو ليل مدلس . الحندس : الظلمة . أمرين : يريد أمرين مختلفين . يقول : إذا اختلف الناس في أمرين كانوا هم الهداة عند ظلام الرأي وتحيّر الفكر .

(٥) مساميح : كرام . المُشْهب : الشديد الجري ، من أسهب الفرس : اتّسع في الجري .

(٦) جعفر بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، الفيلق : الجيش .

(٧) قتيل التجوبي هو عليّ بن أبي طالب ، وتجوب قبيلة . استوأرت : أي فزعت ونفرت متتابعة . يُجنب : يُقاد .

(٨) قتيل الأدعياء : هو الحسين . والأدعياء : جمع دعيّ وهو الذي يُنسب إلى غير أبيه ، يريد عبيد الله بن زياد بن سميّة أخي معاوية . الملحب : المقطع بالسيوف .

٤٢ ـ قتيلٌ بِجَنْب الطَّفِّ من آلِ هاشمٍ فيالك لَحْماً ليسَ عنه مُذَبِّب [١]

٤٣ ـ مَضَوا سَلَفاً لا بدَّ أنّ مصيرَنا إليهم فَغَادٍ نحوَهُم مُتَأوِّبُ

٤٤ ـ كذاكَ المنايا لا وضيعاً رأيتها تَخَطَّى ولا ذا هيبةٍ تتهيَّبُ

٤٥ ـ وقد غادروا فينا مصابيحَ أنجُماً لنا ثقةً أيانَ نَخْشَى ونَرْهَب [٢]

٤٦ ـ أولئك إنْ شطَّتْ بهم غربةُ النَّوى أمانِيُّ نفسي والهوى حيثُ يَسْقَب [٣]

☆ ☆ ☆

الكميت بن زيد ، الهاشميات ، ص ٣٦ ـ ٥١

---

(١) الطفّ : موضع بشطّ الفرات . مذبّب : مدافع .

(٢) غادروا : تركوا . مصابيح : يعني ذريتهم عليهم السلام . أيان نخشى : حين نخشى .

(٣) شطت : بعدت ونأت . النوى : النية في السفر . يسقب : يدنو .

- ١٥ -

قالَ الطِّرماحُ بنُ حكيم(☆) :

١ ـ وإنّي لَمقتادٌ جوادي وقاذفٌ ... بِهِ وبنفسي العامَ إحدى المقاذفِ
٢ ـ لأكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنىً ... مِنَ الله يكفيني عِداتِ الخلائفِ(١)
٣ ـ فيا ربِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلا تكُنْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْرِ المطارفِ(٢)
٤ ـ ولكنْ أحِنْ يومي سعيداً بعُصْبةٍ ... يُصابون في فجٍّ من الأرضِ خائفِ
٥ ـ فوارسُ مِن شيبانَ ألّف بينهم ... تُقَى الله نزّالونَ عِنْدَ التّزاحُفِ
٦ ـ إذا فارقوا دُنياهُم فارقوا الأذى ... وصاروا إلى موعود ما في المصاحفِ

☆ ☆ ☆

ديوان الطرماح ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٣٣٣

وقالَ :

١ ـ كلُّ حَيٍّ مستكمِلٌ عِدَّةَ العُمْـ ... ـرِ ومودٍ إذا انقضى عَدَدُهْ(٣)
٢ ـ عجباً ما عجبتُ للجامعِ الما ... لَ يُباهي بهِ ويَرْتَفِدُهْ(٤)
٣ ـ ويُضيعُ الذي يصيِّره اللّـ ... ـهُ إليهِ فليسَ يعتقِدُهْ

(☆) هو الطِّرماح بن حكيم الطائي ، نشأ في الشّام وانتقل إلى الكوفة مع جيوش الشام . اعتنق مذهب الخوارج الصُّفْرية وبقي عليه حتّى مات . احترف التعليم ومدح الأمراء والولاة . تعصّب لطيِّئ وللقحطانية وهجا الفرزدق . له شعر جيّد بعضه في وصف الصحراء ، وقد أعرب في شعره أحياناً حتى استعصى لفظه على كبار اللغويين . مات حوالي سنة ١٠٥ هـ .

(١) عِدات : جمع عِدة ويريد بها الصلة . الخلائف : جمع خليفة .

(٢) الشرجع : النعش .

(٣) مودٍ : ميت .

(٤) يرتفده : يكتسبه .

٤ـ يـومَ لا ينفـع المخـوّل ذا الثر   وة خُـلاّنُـه ولا وَلَـدُه[1]
٥ـ يومَ يـؤتَى بـهِ وخصماه وسـط الـ   ـجنّ والإنس رِجْلُـه ويَـدُهْ
٦ـ خـاشعَ الصّوت ليسَ ينفعُـه ثَـ   ـمَّ أمـانيُّـه ولا لَـدَدُهْ

☆ ☆ ☆

ديوان الطرماح ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨

(١) المخوَّل : الثريّ .

قالَ عُبَيدُ الله بنَ قيس الرقيّات[☆] يمدحُ مُصعبَ بنَ الزُّبير :

١ ـ حَبَّـذا العيشُ حينَ قـومي جميـعٌ   لم تفرّقْ أمـورَهـا الأهـواءُ[١]
٢ ـ قَبْـلَ أنْ تَطمـع القبـائـلُ في مُلـ   ـكِ قريشٍ وتَشْمَتَ الأعـداءُ
٣ ـ أيُّهـا الْمُشتهي فنـاءَ قُريشٍ   بيـدِ الله عُمْرُهـا والفَنَـاءُ
٤ ـ إن تُـودِّعْ مِن البـلادِ قُريشٌ   لا يكُنْ بعـدَهُم لحيٍّ بَقَـاءُ[٢]
٥ ـ لـو تقفّي وتَتركُ النّـاسَ كانـوا   غَنَمَ الـذِّئبِ غـابَ عنهـا الرِّعاءُ[٣]
٦ ـ هـل تَرى مِن مُخلَّـدٍ غيرَ أنَّ اللـ   ـه يَبْقَى وتَـذهبُ الأشيـاءُ
٧ ـ لم نَـزَلْ آمنين يحسُـدُنـا النّـا   سُ ويَجري لنـا بـذاكَ الثَّراءُ
٨ ـ لـو بكت هـذهِ السَّماءُ على قـو   مٍ كرامٍ بكَتْ علينـا السَّماءُ
٩ ـ إنَّما مصعبٌ شِهـابٌ من اللـ   ـه تجلَّتْ عن وجهـهِ الظَّلمـاءُ
١٠ ـ مُلكُـهُ مُلْـكُ قـوّةٍ ليسَ فيـه   جَبَروتٌ ولا بـهِ كِبريـاءُ
١١ ـ يَتّقي الله في الأمـور وقـد أفْـ   ـلحَ مَنْ كانَ همُّـهُ الاتّقـاءُ

☆ ☆ ☆

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، ١٩٥٨ م ، ص ٧٨ وما يليها .

(☆) هو عُبيد الله بن قيس لُقّب بالرقيّات لأنه تشبّب بثلاث نساء سمّين جميعاً رقيّة . كان شاعر قريش يدافع عنها ويسعى إلى وحدتها ويهجو الأمويين الذين استعانوا باليمانية وأهملوا القرشيين . انحاز إلى عبد الله بن الزبير ومدح أخاه مصعب بن الزبير واليه على العراق . دخل في حزب بني أمية بعد إخفاق ثورة الزبيريين ، ومدح عبد الملك بن مروان ، توفي سنة ٧٥ هـ .

(١) جميع : مجتمعو الشمل . الأهواء : الآراء ، ويقصد بها المذاهب السياسية .

(٢) تودّع : ترحل . الحي : جزء من القبيلة يضم عدة أسر .

(٣) تقفّي : تذهب . الرّعاء : جمع الراعي .

قالَ عُمر بنَ أبي ربيعة(☆) :

١ ـ أمِنَ آلِ نُعْمٍ أنتَ غـــادٍ فَمُبْكِرُ ... غَـداةَ غَـدٍ، أم رائِـحٌ فمهجِّرُ(١)

٢ ـ لِحاجـةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِهـا ... فَتُبْلِـغَ عُـذراً والمقالـةُ تُعْـذِرُ

٣ ـ تهيمُ إلى نُعْمٍ، فلا الشَّمـلُ جـامـعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ، ولا القلبُ مُقصرُ

٤ ـ ولا قُرْبُ نُعْمٍ إن دَنَتْ لـكَ نـافعٌ ... ولا نـأْيُهـا يُسلي، ولا أنتَ تصبِرُ

٥ ـ وأُخرى أتَتْ مِن دُوْنِ نُعْمٍ، ومثلُها ... نَهَى ذو النُّهى لو ترعـوي أو تفكَّرُ(٢)

٦ ـ إذا زُرْتُ نُعْماً، لم يَـزَلْ ذو قرابـةٍ ... لهـا، كلَّما لاقيتُـه، يتنمَّرُ

٧ ـ عـزيـزٌ عليـه أنْ أُلِمَّ ببيتهـا ... يُسِرُّ لي الشَّحنـاءَ، والبغضَ يُظهرُ(٣)

٨ ـ أَلِكْني إليهـا بـالسَّـلام، فـإنَّـه ... يُشهَّر إلمـامي بهـا ويُنكَّرُ(٤)

٩ ـ بـآيـةِ مـا قـالَتْ غَـداةَ لقيتُهـا ... «بمدفع أكنـان»: أهـذا المشهَّرُ(٥) ؟

١٠ ـ أشارتْ بِمدراهـا، وقـالَتْ لأُختهـا ... أهذا المغيريّ الـذي كانَ يُـذكرُ(٦) ؟

(☆) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي . ولد من أمّ يمنية اسمها مجد وأب قرشي تاجر ، كان عاملاً لرسول الله ﷺ وللخلفاء الثلاثة من بعده على منطقة الْجَنَد في اليمن . شبَّ عمر في نعيم وترف ودلال وألف أحوال النساء صغيراً ، إذ تربّى في كنف أمه التي بالغت في حبّه . عُرف عمر بالغزل الصريح والمبالغة في تصوير حبّ النساء له ، واشتُهر بتعرضه للنساء في الحجّ حتى غضب عليه عمر بن عبد العزيز ونفاه . توفي سنة ٩٣ هـ .

(١) غاد فمبكر : أي سائر في الصباح الباكر قبل طلوع الشمس . الرائح : السائر في الرواح وهو وقت العشي . المهجّر : السائر في الهاجرة وهي الحرّ الشديد .

(٢) النُّهى : العقل . ترعوي : ترجع عن الضلال .

(٣) الشحناء : الكراهية والبغضاء .

(٤) ألكني : أي احمل رسالتي . يشهّر : يُذاع .

(٥) « مدفع أكنان » : اسم موضع .

(٦) المدرى : حديدة يحكّ بها الرأس . المغيريّ : أي عمر ، نسبة إلى المغيرة جدّ أبيه .

١١ـ أهذا الذي أطريتِ نعتاً، فلم أكُنْ وعيشِكِ، أنساه إلى يوم أُقْبَرُ[1]

١٢ـ فقالت: نَعَمْ، لاشكَّ غيَّرَ لونَهُ سُرى الليل يُحْيِي نصَّه، والتَّهجُّرُ[2]

١٣ـ لئِنْ كانَ إيَّاه، لقد حالَ بعدنا عن العهد، والإنسانُ قد يتغيَّرُ[3]

١٤ـ رأتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمسُ عارضَتْ فَيَضْحَى، وأمَّا بالعشِيِّ فَيَخْصَرُ[4]

١٥ـ أخا سفرٍ جوابَ أرضٍ، تقاذفَتْ بهِ فلواتٌ، فهو أشعثُ أغْبَرُ[5]

١٦ـ قليلٌ على ظهر المطيَّة ظلُّه سوى ما نفى عنه الرِّداءُ الْمُحبَّرُ[6]

١٧ـ وأعْجَبَها من عيشها ظِلُّ غرفةٍ وريَّانُ ملتفُّ الحدائقِ أخضرُ

١٨ـ ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهِمُّها فليست لشيءٍ آخِرَ الليل تسهرُ[7]

١٩ـ وليلةَ «ذي دَوْران» جشَّمني السُّرى وقد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ المغرَّرُ[8]

٢٠ـ فبتُّ رقيباً للرفاق على شَفاً أُحاذِرُ منهم من يطوفُ وأنظرُ[9]

٢١ـ إليهم، متى يستمكنُ النَّومُ منهمو ولي مجلسٌ لولا اللبانةُ أوعرُ[10]

٢٢ـ وباتت قَلوصي بالعراء ورحلُها لطارقِ ليلٍ، أو لِمَن جاءَ، مَعورُ[11]

---

(١) أطريت نعتاً: أحسنت وصفاً.

(٢) يحيي نصّه: يحيي مروره وانقضاءه. التهجّر: السير في الهاجرة وهي الحرّ الشديد.

(٣) حال: تغيَّر.

(٤) عارضت: أي قابلت وواجهت. يضحى: يتعرض للشمس. يخصر: يشتدّ به البرد.

(٥) الفلوات: جمع فلاة وهي الصحراء.

(٦) الرداء المحبَّر، المزيَّن والمطرَّز.

(٧) الوالي: الزوج أو القيم. كفاها كل شيء: أي كفل لها كل احتياجاتها ورغائبها.

(٨) «ذو دوران»: اسم موضع. جشمني: أي كلفني. المغرَّر: الذي يعرِّض نفسه للهلاك.

(٩) على شفاً: على حذر وتربّص.

(١٠) لولا اللبانة: لولا الحاجة والهوى.

(١١) قلوصي: ناقتي. معور: أي ظاهر واضح.

٢٣ـ وبتُّ أناجي النَّفسَ: أينَ خِباؤها ؟ وكيفَ لِما آتي من الأمرِ مَصْدرُ ؟
٢٤ـ فدلَّ عليها القلبُ ريَّا عرفْتُها لها، وهوى النفس الذي كادَ يظهرُ[1]
٢٥ـ فلمَّا فقدتُ الصّوتَ مِنْهم، وأُطفِئَت مصابيحُ شُبَّت في العِشاء وأنْؤُرُ
٢٦ـ وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ وروَّحَ رعيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ
٢٧ـ ونفَّضْتُ عني النوم، أقْبلتُ مِشيةَ الـ حُبَابِ وركني خشيةَ القوم أزورُ[2]
٢٨ـ فَحَيَّيتُ إذْ فاجأْتُها، فتولَّهَتْ وكادَتْ بمخفوضِ التَّحيةِ تَجْهَرُ[3]
٢٩ـ وقالَتْ وعضَّتْ بالبَنان: فضحْتَني ! وأنتَ امرؤ ميسورُ أمرك أعْسَرُ
٣٠ـ أرَيْتَكَ، إذ هُنَّا عليك، ألم تخف ؟ وُقيتَ، وحولي من عدوِّك حُضَّرُ[4]
٣١ـ فواللهِ ما أدري أتعجيلُ حاجةٍ سَرَتْ بك، أم قد نامَ مَنْ كنْتَ تحذَرُ ؟
٣٢ـ فقلتُ لها: بلْ قادَني الشوقُ والهوى إليكِ، وما عينٌ من النَّاس تنظرُ
٣٣ـ فقالَتْ وقد لانَتْ وأُفرِخَ رَوعُها: كَلاكَ بحفظٍ ربُّكَ المتكبِّرُ[5]
٣٤ـ فأنت، أبا الخطَّاب، غيرَ مُدافعٍ عليَّ أميرٌ، ما مكثْتَ، مؤمَّرُ[6]
٣٥ـ فبتُّ قريرَ العينِ، أعطيتَ حاجتي أُقبِّلُ فاها في الخَلاء فأُكثِرُ
٣٦ـ فيالَكَ من ليلٍ تَقَاصَرَ طولُهُ وما كانَ ليلي قبلَ ذلك يقصُرُ
٣٧ـ ويالكَ مِنْ مَلهىً هُناك، ومجلسٍ لنا، لم يكدِّره علينا مُكَدِّرُ

---

(١) الريّا : الرائحة الذكية .
(٢) مشية الحباب : أي كما تمشي الحية ، وركني أزور : أي وجسمي مائل منعطف خشية أن يراني أحد .
(٣) تولّهت : اشتدّ بها الوجد .
(٤) أريتك : أي قلْ لي وأخبرني ، أصلها أرأيتك . حُضّر : أي حاضرون .
(٥) أفرخ رَوعُها : هدأت نفسها . كلاك : رعاك وحفظك .
(٦) أبو الخطاب : كنية عمر بن أبي ربيعة . غير مدافع : غير منازع . مؤمَّر : أي لك الأمر والسيادة عليَّ .

٣٨ـ يَمسجٌ ذكيَّ المِسكِ منها مُفَلَّجٌ   رقيقُ الحواشي ذو غُرُوبٍ مؤشَّر[١]
٣٩ـ تَرَاه إذا تفترُّ عنه، كأنَّه   حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوانَ مُنَوَّر[٢]
٤٠ـ وتَرْنُو بعينيها إليَّ، كما رنَا   إلى رَبْربٍ وَسْطَ الخَميلةِ جُؤذَر[٣]
٤١ـ فلَمَّا تقضَّى الليلُ إلا أقلَّهُ   وكادَتْ تَوالي نَجْمِهِ تَتَغوَّرُ[٤]
٤٢ـ أشارَتْ بأنَّ الحَيَّ قد حانَ منهمو   هُبوبٌ، ولكنْ موعدٌ لكَ «عَزْوَرُ»[٥]
٤٣ـ فما راعني إلاَّ مُنادٍ: «ترحَّلُوا»   وقد لاحَ مفتوقٌ من الصُّبحِ أشقرُ[٦]
٤٤ـ فلمَّا رأَتْ مَنْ قد تنبَّهَ مِنْهُمو   وأيقاظَهُم، قالَتْ: أشِرْ كيفَ تأمرُ!
٤٥ـ فقلتُ: أُباديهم، فإما أفوتهم   وإمَّا ينالُ السَّيفُ ثأراً فَيَثْأرُ[٧]
٤٦ـ فقالَتْ: أتحقيقاً لِما قالَ كاشِحٌ   علينا، وتصديقاً لِما كانَ يُؤثَرُ[٨]؟
٤٧ـ فإنْ كانَ ما لا بُدَّ منه، فَغَيْرُهُ   من الأمرِ أدنى للخفاءِ وأسترُ
٤٨ـ أقصُّ على أُختيَّ بدءَ حديثِنا   وما ليَ من أنْ تعلما مُتأخَّرُ
٤٩ـ لعلَّهما أنْ تطلُبَا لكَ مَخْرجاً   وأن ترحُبَا صدراً بما كنتُ أحْصَر[٩]

---

(١) يمجّ ذكي المسك ، أي يقذف بالرائحة الطيّبة . مُفلَّج : أي ثغر متباعد الأسنان ، وكانت العرب تعدُّ هذا من جمال المرأة . ذو غُروب : أي ممتلئ بالرحيق والرضاب . مؤشّر : أي أسنانه محززة خلقة أو صنعة .

(٢) تفترّ عنه : تبتسم .

(٣) الرَّبرب : القطيع من بقر الوحش . الجُؤذر : ولد البقرة الوحشية كانت العرب تشبه النساء به لجمال عينيه .

(٤) توالي نجمه · أي نجومه المتبقية ، تتغوّر : تغيب .

(٥) عزور : اسم جبل بين مكة والمدينة .

(٦) مفتوق : أي منشق ، والمقصود نور الصباح .

(٧) أباديهم : أبدو وأتصدّى لهم .

(٨) الكاشح : العدو المبغض . يؤثر : يُروى ويُقال .

(٩) أحصر : أضيق به .

٥٠ـ فقامَتْ كئيباً ليسَ في وجهها دَمٌ … من الْحُزْن تُذري عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ[1]
٥١ـ فقامَتْ إليها حرّتان عليهما … كساءان من خَزٍّ: دمقسٌ وأخضرُ
٥٢ـ فقالَتْ لأُختيها: «أعينا على فتىً … أتى زائراً، والأمرُ للأمر يُقدرُ»
٥٣ـ فأقبلَتا، فارتاعتا، ثُمَّ قالَتا: … أقلّي عليكِ اللومَ، فالْخَطبُ أيْسَرُ
٥٤ـ فقالَتْ لها الصُّغرى: سأُعطيه مُطْرَفي … ودِرعي وهذا البُرْدَ إن كانَ يَحْذرُ[2]
٥٥ـ يقومُ فيمشي بيننا مُتَنكِّراً … فلا سِرُّنا يفشو ولا هُوَ يظهرُ
٥٦ـ فكانَ مِجنّي دونَ مَنْ كنتُ أتَّقي … ثلاثُ شُخوصٍ: كاعبانِ ومُعْصِرُ[3]
٥٧ـ فلمّا أجزنا ساحةَ الحيِّ قلن لي: … ألم تتّقِ الأعداءَ والليلُ مقمرُ؟
٥٨ـ وقُلْنَ: أهذا دأبُكَ الدَّهرَ سادِراً … أمَا تَستَحي أم ترعوي أم تفكّرُ[4]؟
٥٩ـ إذا جِئْتَ فامنحْ طرفَ عينيك غيرَنا … لكي يَحْسَبوا أنَّ الهوى حيثُ تنظرُ[5]
٦٠ـ فآخرُ عهدٍ لي بها حين أعْرَضَتْ … ولاحَ لها خَدٌّ نقيٌّ ومَحْجرُ
٦١ـ سوى أنني قد قلتُ يا نُعْمُ، قولةً … لها، والعتاقُ الأرحبيّاتُ تُزْجَرُ[6]
٦٢ـ هَنيئاً لأهلِ العامريةِ نشرُها الـ … لذيذُ وريّاها التي أتذكَّرُ[7]

☆ ☆ ☆

ديوان عمر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، ١٩٦٠م، ص ٩٢ ـ ١٠٣

---

(١) تذري عبرة: تسكب دمعة.
(٢) الْمُطرف: رداء من خزّ. الدّرع: قميص المرأة. الْبُرْد: ثوب مخطط.
(٣) مجني: ترسي. الكاعبان: مثنى الكاعب. وهي الفتاة في أول البلوغ. المعصر: المرأة الناضجة.
(٤) دأبك: عادتك. سادراً: منصرفاً إلى الغواية غير مبال.
(٥) امنح طرف عينيك غيرنا: أي انظر إلى سوانا وغيرنا.
(٦) العتاق الأرحبيات: النياق الكريمة. تزجر: تساق وتدفع.
(٧) النشر: ريح فم المرأة. الريّا: الرائحة الذكية.

قالَ جميلُ بنَ مَعْمَر (☆) :

١ـ ألا ليتَ رَيْعانَ الشَّبابِ جَديدُ ودهراً تولّى ـ يابثينَ ـ يعودُ (١)
٢ـ فنبقى كما كنَّا نكونُ، وأنتمو قريبٌ، وإذْ ما تبذلِيْنَ زهيدُ
٣ـ وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قَرَّبَتْ نِضْوي : أمِصْرَ تريدُ (٢) ؟
٤ـ ولا قولَها: لولا العيونُ التي ترى لزرتُكَ، فاعذرني، فَدَتْكَ جُدودُ
٥ـ خليليَّ، ماألقى مِن الوجد باطنٌ ودمعي ـ بما أُخفي الغداةَ ـ شَهيدُ
٦ـ ألا قد أرى، واللهِ، أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدارُ شطَّتْ بيننا سَتزيدُ (٣)
٧ـ إذا قُلْتُ: مابي يابثينةُ قاتلي من الحبِّ، قالَتْ: ثابتٌ ويزيدُ
٨ـ وإن قُلْتُ: رُدّي بعضَ عقلي أعِشْ به ! تولَّتْ وقالَتْ: ذاكَ منكَ بعيدُ
٩ـ فلا أنا مردودٌ بما جِئْتُ طالباً ولا حبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ (٤)
١٠ـ جَزَتْكِ الْجَوازي يابثينَ سلامةً إذا ماخليلٌ بانَ وهو حَميدُ (٥)
١١ـ وقُلْتُ لها: بيني وبينكِ فاعلمي مِن اللهِ ميثاقٌ لهُ وعُهودُ

(☆) هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذري . ولد في وادي القُرى بالحجاز ، وشبَّ يحبُّ ابنة عمٍّ له اسمها بُثينة . ولما جاء إلى أهلها يخطبها ردّوه وزوّجوها برجل خامل النسب . وكان يلقى بثينة خفية ويهيم بها ويذكرها في شعره حتى استعدى أهلها عليه مروان بن الحكم فتوعّده فاضطر إلى الاغتراب إلى أن توفي سنة ٨٢ بمصر .

(١) رَيْعَان الشباب : أوله وأفضله ونضارته .

(٢) نضوي : النضو : الهزيل ، والمقصود به هنا : ناقتي الهزيلة . مِ الأشياء : مِن الأشياء .

(٣) عبرة : دمعة . شطت : بعدت وتناءت .

(٤) يبيد : يفنى ويزول .

(٥) الجوازي : جمع جازية ، وهي المكافأة . بان : رحل .

١٢ ـ وقد كانَ حبُّكم طريفاً وتالداً ... وما الحبُّ إلا طارفٌ وتليدُ[1]
١٣ ـ وإنَّ عَروضَ الوصلِ بيني وبينها ... وإنْ سهَّلتْهُ بالْمُنى لكؤودُ[2]
١٤ ـ وأفنيْتُ عمري بانتظاريَ وَعْدَها ... وأبْلَيْتُ فيها الدَّهرَ وهو جَديدُ
١٥ ـ ويَحْسَبُ نِسوانٌ من الجهلِ أنَّني ... إذا جئتُ إيَّاهُنَّ كُنْتُ أُريدُ
١٦ ـ فأُقْسِمُ طرفي بينهنَّ فيستوي ... وفي الصَّدرِ بونٌ بينهن بعيدُ[3]
١٧ ـ ألا ليتَ شِعْري هَلْ أبيتَنَّ ليلةً ... بوادي القُرى، إنِّي إذنْ لَسَعيدُ[4]
١٨ ـ وهَلْ أهْبِطَنْ أرضاً تظَلُّ رياحُها ... لها بالثَّنايا القاوياتِ وَئيدُ[5]
١٩ ـ وهَلْ ألْقينْ «سُعْدَى» من الدَّهرِ مرةً ... وما رثَّ من حَبْلِ الصَّفاءِ جَديدُ[6]
٢٠ ـ وقد تَلْتقي الأشتاتُ بَعْدَ تفرُّقٍ ... وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهي بَعيدُ[7]
٢١ ـ إذا جِئْتُها يوماً من الدَّهْرِ، زائراً ... تَعرَّضَ منفوضٌ اليدين صَدُودُ[8]
٢٢ ـ يَصُدُّ ويَغْضِي عن هوايَ ويجتني ... ذنوباً عليها، إنَّه لعَنُودُ
٢٣ ـ فأصْرِمُها خوفاً، كأنِّي مجانِبٌ ... ويَغْفُلُ عنَّا مرةً، فنَعُودُ[9]
٢٤ ـ ومَنْ يُعْطَ في الدُّنيا قريناً كمثلها ... فذلك في عيشِ الحياةِ رشيدُ[10]

(١) طارف وتليد: حديث وقديم.
(٢) العروض: الطريق الوعر في عرض الجبل يكتنفه مضيق، والمقصود به هنا: واقع الحال بينه وبين حبيبته في الوصال واللقاء. كؤود. الشاق، الصعب.
(٣) أقسم طرفي: أوزع النظر.
(٤) وادي القرى: اسم موضع قرب المدينة، كان يقيم فيه قوم جميل وبثينة.
(٥) الثنايا القاويات: الطرق الخالية. وئيد: صوت عال شديد.
(٦) رثّ: قدم وبلي.
(٧) الأشتات: جمع شتيت، أي المتفرق والمتبعد.
(٨) المنفوض: من أصابته رعدة الحمى. والرعدة هنا بسبب الغضب والغيرة، والمقصود به روح بثينة.
(٩) أصرمها: أجافيها وأقاطعها. مجانب: مبتعد لا غاية له فيها.
(١٠) قريناً: زوجة.

٢٥ـ يموتُ الهوى منّي إذا ما لقيتُها ... ويَحْيَا إذا فارقْتُها فيَعودُ
٢٦ـ يقولون: جاهِدْ يا جميلُ بغَزْوةٍ ... وأيَّ جهادٍ غيرَهُنَّ أُريدُ!
٢٧ـ لكلِّ حديثٍ عندهنَّ بَشاشةٌ ... وكلُّ قتيلٍ عندهنَّ شَهيدُ
٢٨ـ وأحسنُ أيامي، وأبهجُ عيشتي ... إذا هِيجَ بِي يوماً وهُنَّ قُعُودُ
٢٩ـ تذكَّرْتُ ليلى فالفؤادُ عميدُ ... وشطَّت نواها فالمزارُ بعيد[١]
٣٠ـ عَلِقْتُ الهوى منها وليداً، فلم يَزَلْ ... إلى اليوم يَنْمي حُبُّها ويَزيد[٢]
٣١ـ فما ذُكِرَ الْخُلاَّنُ إلا ذكرتُها ... ولا البخلُ إلا قُلْتُ سوف تجودُ
٣٢ـ إذا فكّرت قالَتْ: قَدَ ادركْتُ وُدَّه ... وما ضرَّني بخلي، فكيفَ أجود[٣]
٣٣ـ فلو تُكْشَفُ الأشياءُ، صُودف تحتَها ... لبثنةَ حُبٌّ طارفٌ وتليدُ
٣٤ـ ألم تعلمي يا أمَّ ذي الودع أنّني ... أضاحكُ ذكراكِ وأنتِ صلود[٤]!
٣٥ـ فهل أَلْقَيَنْ فرداً بثينةَ ليلةً ... تجودُ لنا مِن وُدّها ونَجُود[٥]
٣٦ـ ومَن كانَ في حبّي بثينةَ يمتري ... «فبرقاءُ ذي ضالٍ» عليَّ شهيد[٦]

☆ ☆ ☆

ديوان جميل، تحقيق حسين نصار، القاهرة ص ٦١ ـ ٦٧

---

(١) العميد: العاشق المتيَّم الذي هدَّه العشق. شطَّت نواها: بعدت بها المسافات.
(٢) علقت الهوى: أصابني الهوى وتملكني. ينمي: يزيد ويتضاعف.
(٣) قد أدركت وده: قد استحوذت على مودته وحبّه رغم بخلها.
(٤) الودع: خرزات بيض تستخرج من البحر تشقّ كالنواة وتعلق في أعناق الأطفال لدفع الحسد، والمقصود بأم ذي الودع: بثينة. صلود: بخيلة جداً.
(٥) فرداً: منفرداً، بعيداً عن الناس.
(٦) يمتري: يشكّ. برقاء ذي ضال: اسم موضع كان جميل وبثينة يلتقيان فيه بعيداً عن الرقباء.

- ١٩ -

قالَ كثيِّر عَزَّة(☆) :

١ ـ خليليَّ، هـذا رَبْعُ عَـزَّةَ، فـاعقِـلا	قَلُوصَيكُما، ثمَّ ابكيا حيثُ حَلَّتِ[١]
٢ ـ ومَسَّا ترابـاً كانَ قـد مَسَّ جلدَهـا	وبيتـا وظـلاًّ حيثُ بـاتَتْ وظلَّتِ
٣ ـ ولا تيـأسـا أنْ يمحـوَ اللهُ عنكمـا	ذُنـوبـاً إذا صلَّيتُما حَيثُ صَلَّتِ
٤ ـ ومـا كنتُ أدري قبلَ عزَّةَ مـا البكا	ولا موجعـاتِ القلبِ حتَّى تولَّت[٢]
٥ ـ وقـد حَلَفتْ جَهـداً بمـا نَحَرتْ لـه	قريشٌ غَدَاةَ «المأزمين» وصَلَّت[٣]
٦ ـ أُنـاديـكِ مـا حجَّ الحجيجُ وكبَّرَت	«بفيفـا غـزال» رفقـةٌ وأهلَّت[٤]
٧ ـ ومـا كبَّرت من فوق «ركبة» رفقـةٌ	ومن«ذي غزال»أشْعَرت واستهلَّت[٥]
٨ ـ وكانت لقطـعِ الحبـل بيني وبينهـا	كنـاذرةٍ نَـذْراً، فـأوفَتْ وحلَّت[٦]

(☆) هو كثيِّر بن عبد الرحمن ، شاعر حجازي من خزاعة ، كان ينزل المدينة كثيراً . شغف بعزَّة واشتهر بغزله فيها حتَّى سمِّي كثيِّر عزَّة . مال إلى ابن الحنفية وتشيَّع له . مدح الأمويين وحرَّضهم على ابن الزبير ، وظلَّ مع ذلك مخلصاً لعقيدته الشيعية وإنكاره خلافة الخلفاء الراشدين حتى وفاته سنة ١٠٧ هـ .

(١) ربع عزَّة : موضع دارها . اعقلا : شدّا واربطا . قلوصيكما . القلوص الناقة الشابة النشيطة .

(٢) تولت : ذهبت وأدبرت .

(٣) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة (بين عرفة والمزدلفة) وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين صلاتي الظهر والعصر . حلفت جهداً : أي بالغت في اليمين .

(٤) بفيفا غزال : أي بفيفاء غزال ، موضع بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح .
أهلَّت : رفعت صوتها بالتلبية . ما حجَّ الحجيج : أي طيلة مدّة حجِّ الحجيج .

(٥) ركبة : وادٍ بين مكة والطائف . رفقة : رفاق ، جمع رفيق . أشعرت : جعلت لنفسها شعاراً .. وشعار القوم علامتهم في السفر .

(٦) حلَّت : أوفت بعهدها وخرجت من ميثاق كان عليها .

٩ـ فقلتُ لها: يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وطِّنَتْ يوماً لها النَّفْسُ ذلَّتِ[١]
١٠ـ ولم يلقَ إنسانٌ مِن الحبِّ مَيعةً تَعُمُّ، ولا عمياءَ إلاَّ تَجَلَّتِ[٢]
١١ـ تمنَّيتُها حتَّى إذا ما رأيتُها رأيتُ المنايا شُرَّعاً قد أظلَّتِ[٣]
١٢ـ كأنِّي أُنادي صخرةً حينَ أعْرَضَتْ من الصُّمِّ لو تَمشي بها العُصمُ زَلَّتِ[٤]
١٣ـ صفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً فمن ملَّ منها ذلك الوصلَ ملَّتِ
١٤ـ أباحَتْ حِمَىً لم يَرْعَهُ النَّاسُ قبلها وحلَّت تِلاعاً لم تكن قبلُ حُلَّتِ[٥]
١٥ـ فليت قَلُوصي عندَ عزَّةَ قُيِّدَتْ بحبلٍ ضعيفٍ حُزَّ منها فَضَلَّتِ
١٦ـ وغُودِرَ في الحيِّ المقيمين رحلُها وكانَ لها باغٍ سِوايَ فبلَّتِ[٦]
١٧ـ وكنتُ كذي رجلين: رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزمانُ فشلَّتِ
١٨ـ وكنتُ كذاتِ الظلع لمَّا تحاملَتْ على ظلعها بعد العثار استقلَّتِ[٧]
١٩ـ أُريد الثَّواء عندها، وأظنُّها إذا ما أطلنا عندَها المُكْثَ ملَّتِ[٨]
٢٠ـ فما أَنْصَفَت، أمَّا النساءَ فبغَّضَتْ إليَّ، وأمَّا بالنَّوال فضنَّتِ[٩]

---

(١) وطّن نفسه على الشيء: أي حملها عليه حتى تذلّ له وتخضع.

(٢) ميعة الشيء: أوله أو معظمه. تعمّ: تشمل. العمياء: الضلالة والجهالة. تجلّت: انكشفت وانفرجت.

(٣) المنايا: جمع منية، الموت. شرّعاً: مسدّدة، موجّهة.

(٤) الصمّ: الصخور الصلبة المصمتة. العصم: جمع عصماء، والأعصم من الظباء والوعول ما في ذراعه أو إحداهما بياض وسائره أحمر أو أسود. زلّت: زلقت.

(٥) التلاع: جمع تلعة، الأرض المرتفعة.

(٦) بلت: هامت ضالة على وجهها.

(٧) كذات الظلع: كالناقة العرجاء. تحاملت: تكلّفت المشي بمشقة. استقلّت: ذهبت وارتحلت.

(٨) الثّواء: الإقامة. المُكث: البقاء.

(٩) النوال: العطاء، والمقصود به الوصال.

٢١ ـ يكلفُهــا الغَيرانُ شتمي، ومــا بِهــا هَواني، ولكن للمليــك استـذَلَّت[١]

٢٢ ـ هَنيئــاً مريئــاً ـ غيرَ داءٍ مخــامرٍ ـ لِعَـزَّةَ مِن أعراضنــا مــا استحلَّت[٢]

٢٣ ـ فـواللهِ مــاقــاربْتُ إلا تبــاعَــدتْ بِصَرْمٍ، ولا أكثرتُ إلا أقلَّت[٣]

٢٤ ـ وكنّــا سَلَكنــا في صَعود من الهوى فلمّـــا تَــوافَيْنـــا: ثَبَتُّ وزَلَّتِ

٢٥ ـ وكنّــا عَقَـدْنـا عُقْـدةَ الوصل بيننــا فلمّــا تـواثَقْنــا: شَـدَدْتُ وحَلَّتِ

٢٦ ـ فــإنْ تكُن العُتْبَى فــأهلاً ومرحبــاً وحَقَّت لها العُتْبَى لـدَينا وقَلَّتِ[٤]

٢٧ ـ وإنْ تكُنِ الأُخرى، فــإنَّ وراءنــا مَنادحَ لوسارتْ بها العِيسُ كَلَّت[٥]

٢٨ ـ خليليَّ إنَّ الحــــاجبيَّـــةَ طَلَّحَتْ قلـوصيكمــا، ونــاقتي قــد أكلَّتِ[٦]

٢٩ ـ فلا يَبْعَـدَنْ وصلٌ لِعَـزَّة، أصبحت بعــاقبــةٍ أسبــابُـه قــد تـولَّتِ[٧]

٣٠ ـ أسيئي بنــا أو أحْسِني، لا ملـومــةً لــدينــا، ولا مقليــةً إن تقلَّتِ[٨]

٣١ ـ ولكن أنيلي، واذكري من مَــــودَّةٍ لنــا خُلَّــةً كانت لــديكم فطُلَّتِ[٩]

٣٢ ـ فــإني وإن صَـدَّت لَمُثْنٍ وصــادق عليهــا، بمــا كانت إلينــا أزلَّتِ[١٠]

---

(١) الغيران: ذو الغيرة، يقصد به زوج عزّة. المليك: أي المالك الذي يملك وهو زوج عزّة. استذلّت: هانت وخضعت.

(٢) مخامر: مخالط ومداخل. من أعراضنا ما استحلّت: يقصد شتيمته في عرضه إطاعة لأمر زوجها.

(٣) صَرْم: قطيعة وهجران.

(٤) العتبى: الرضى وإزالة اللوم.

(٥) منادح: جمع مندوحة وهي الأرض الواسعة البعيدة. العيس جمع عيساء وأعيس: الإبل البيض الكريمة يخالطها شقرة أو ظلمة خفيفة. كلَّت: تعبت من السير.

(٦) الحاجبية: يقصد بها عزّة. طلَّحت وأكلَّت: أتعبت وأجهدت.

(٧) فلا يبعدن: فلا يهلكن. بعاقبة: في ختام الأمر.

(٨) مقلية: مبغضة ومكروهة من القلى، أي البغض. تقلَّت: تبغضت.

(٩) الخلّة: المحبة والصداقة. طلَّت: أي منعت وأهدرت.

(١٠) أزلت: أسدت وأعطت.

٣٣ ـ فلا يحسَبِ الواشون أنّ صبابتي　　　بعـــزّة كانت غَمْرةً فتجَلَّتِ[1]

٣٤ ـ فأصبحتُ قد أبلَلْتُ من دَنَفٍ بها　　　كما أُدْنِفَتْ هَيماءُ ثمّ استبلّتِ[2]

٣٥ ـ فوالله ثمّ الله ما حلّ قبلها　　　ولا بعدَها من خُلّةٍ حيثُ حلّتِ[3]

٣٦ ـ وما مرّ من يومٍ عليّ كيومها　　　وإن عظُمت أيامُ أخرى وجلّتِ[4]

٣٧ ـ وأضحت بأعلى شاهقٍ من فؤاده　　　فلا القلبُ يسلاها ولا العينُ ملّتِ[5]

٣٨ ـ فيا عجباً للقلبِ كيفَ اعترافُه　　　وللنّفسِ لمّا وُطِّنَتْ كيفَ ذلّتِ[6]

٣٩ ـ وإني وتهيامي بعزّةَ بعدما　　　تخلّيْتُ ممّا بيننا وتخلّتِ[7]

٤٠ ـ لكالمُرتجي ظِلَّ الغَمامةِ، كلّما　　　تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ[8]

٤١ ـ كأني وإيّاها سحابةُ مُمحلٍ　　　رجاها، فلما جاوزتْهُ استهلّتِ[9]

٤٢ ـ فإن سألَ الواشون فيمَ هَجَرتها　　　فقُلْ نفسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فتسَلّتِ

☆ ☆ ☆

ديوان كثيّر عزّة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافه، بيروت ١٩٧١، ص ٩٥ ـ ١٠٢

---

(١) الواشون: الذين يشون بالنمية ويزينون الكذب. غمرة: شدّة. تجلّت: انفرجت.

(٢) أبللت: شفيت. الدنف: المرض الملازم. الهيماء: الناقة التي أخذها الهيام، وهو داء يصيب الإبل فتظلّ بهم في الأرض دون أن ترعى حتى تموت. استبلّت: برئت وشفيت.

(٣) الخُلّة: الخليلة، أي الحبيبة والصديقة.

(٤) أيام أخرى: أي أيام امرأة أخرى. جلّت: عظمت.

(٥) الشاهق: المرتفع. يسلاها ـ ينساها، ويروى البيت هكذا:

وللعين أسراب، إذا ما ذكرتها　　　وللقلب وسواس إذا العين ملّتِ

(٦) اعترافه: اصطباره. ذلّت: خضعت واستسلمت وأطاعت.

(٧) التهيام: شدّة الهيام والعشق بما يشبه الجنون. تخلّت: تركت.

(٨) تبوأ المكان: اتخذه للإقامة. اضمحلّت الغمامة: انقشعت وذهبت.

(٩) سحابة ممحل: سحابة بلد ممحل (المحل: الجدب وانقطاع المطر وخلوّ الأرض من الكلأ) استهلّت: أمطرت وصبّت ماءها.

الفصل الثاني

النصوص النثرية

- ١ -

فلمّا دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهّز للحجّ وأمر الناسَ بالجهاز له . وخرج رسول الله ﷺ إلى الحجّ لخمسٍ ليالٍ بقين من ذي القعدة . ثمّ مضى رسول الله على حجّه ، فأرى الناسَ مناسكهم ، وأعلمهم سُنَنَ حجّهم . وخطبَ الناسَ خطبتَهُ التي بيّنَ فيها ما بيّن . وقال :

« الحمدُ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله مِن شُرورِ أنفسنا ، ومن سيّئات أعمالنا ، من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له ، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه . أُوصيكم - عبادَ الله - بتقوى الله ، وأحثُّكم على طاعتِه ، وأستفتحُ بالذي هو خير . أمّا بَعْدُ أيُّها النّاسُ ! اسمعوا مني أُبيّنْ لكُم ، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا في موقفي هذا . أيُّها النّاسُ ! إنّ دماءَكم وأموالَكم عليكم حَرامٌ ، إلى أنْ تَلْقَوا ربّكم ، كَحُرمةِ يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هَلْ بَلّغْتُ ؟ اللّهم اشهدْ . فَمَن كانَتْ عندَه أمانةٌ فَلْيؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها . وإنّ رِبا الجاهلية موضوع[1] ، وإنّ أول رباً أبدأُ بهِ رِبا عمّي العبّاس بن عبد المطلب . وإنّ دماءَ الجاهليةِ موضوعةٌ ، وأولُ دمٍ أبدأُ بهِ دمَ عامر بن ربيعةَ بن الحارث بنِ عبد المطلب . وإنّ مآثرَ الجاهليةِ موضوعةٌ غير السّدانة[2] والسّقاية[3] . والعَمْدُ قَوَد[4] ، وشِبْه العَمْد ما قُتل بالعصا والْحَجر وفيه مائةُ بعير ، فَمَن زادَ فهو من أهل الجاهلية . أيُّها النّاسُ ! إنّ الشيطانَ قد يئس أن يُعْبَد في أرضكم هذه ، ولكنّه قد رَضي أنْ يُطاعَ فيما سوى ذلك مما تَحْقِرون من أعمالكم . أيُّها

(١) موضوع : ساقط ومحرم .
(٢) السّدانة : خدمة الكعبة .
(٣) السّقاية : سقاية الحجاج .
(٤) العَمْد : القتل المتعمد . القَوَد : قتل القاتل بمن قتل .

النَّاسُ ! ﴿ إنَّما النَّسيءُ[1] زيادةٌ في الكُفرِ يُضَلُّ بهِ الَّذينَ كفروا يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمونهُ عاماً لِيواطِئوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ﴾ . إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئته يوم خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ ، ﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهراً في كِتابِ اللهِ يومَ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ﴾ : ثلاثةٌ متواليات وواحدٌ فَرْدٌ . ذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هَل بَلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهَدْ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ لِنسائِكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حقٌ ، لكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرشَكم غيرَكم ، ولا يُدْخِلْنَ أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ مبيِّنة ، فإن فَعَلْنَ فإنَّ الله قد أذِنَ لكم أن تَعْضلوهن[2] وتهجروهنّ في المضاجع وتضربوهن ضَرباً غيرَ مُبَرِّح[3] . فإن انتهين وأطعْنَكم فعليكم رزقُهنّ وكسوتُهنّ بالمعروف . وإنَّما النساءَ عندكم عَوانٍ[4] ، لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهُنَّ بكلمةِ الله ، فاتَّقوا الله في النِّساء ، واستوصوا بهنَّ خيراً ، ألا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهَدْ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّما المؤمنون إخوةٌ ، ولا يحلُّ لامرئٍ مسلمٍ مالُ أخيه إلا عَن طيبِ نفسٍ منه ، ألا هل بَلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهَدْ . فلا ترجِعُنَّ بعدي كفَّاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ ، فإني قد تركْتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تَضِلُّوا بعده : كتابَ الله ، ألا هَلْ بلَّغْتُ ؟ اللَّهم اشهَدْ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ ربَّكم واحدٌ وإن أباكم واحدٌ ، كلُّكم لآدمَ ، وآدمُ مِن تراب . أكرمكم عندَ الله أتقاكم ، إنَّ الله عليمٌ خبير . ليسَ لعربيٍّ على عَجَميٍّ فضلٌ إلا بالتَّقوى ، ألا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُم اشهَدْ . قالوا : نَعَم ، قالَ : فَلْيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ . أيُّها النَّاسُ ! إنَّ الله قسم لكلِّ وارثٍ نصيبَه من الميراث ،

---

(١) النَّسيءُ : شهر المحرم كانوا يحرِّمونه عاماً ، ويحلُّونه عاماً آخر إن أرادوا الإغارة ، فيقولون إنه بعد شهر صفر ويؤجِّلونه .

(٢) تعضلوهن : تضيقوا عليهن .

(٣) الضرب غير المبرِّح : الضرب الخفيف .

(٤) عوان : جمع عانية وهي الأسيرة ، أي هن عندكم بمنزلة الأسيرات .

فلا تجوزُ وصيةٌ لِوارثٍ في أكثر من الثُّلث . والولدُ لِلفراش وللعاهِرِ الْحَجَر[1] ، من ادَّعى إلى غير أبيه أو تولَّى غيرَ مواليه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبل مِنه صَرْف[2] ولا عَدْل[3] . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

☆ ☆ ☆

تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠١ ، والبيان والتبيين ، ٣١/٢ ، والعقد الفريد ، ٥٧/٤

جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ، البابي الحلبي بمصر ، ط أولى ، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٢٣ م ، ٥٧/١ـ٥٩

(١) للفراش : أي لصاحبه ، وللعاهر الحجر : أي أن هذا مقضي به رغم أنفها أو لعله يشير إلى رجمها .

(٢) صرف : توبة .

(٣) العدل : الفدية .

- ٢ -

خطب أبو بكر الصديق[☆] المسلمين يومَ السقيفة :

حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثمّ قالَ أيُّها النَّاسُ نحنُ المهاجرونَ وأوّلُ النَّاسِ إسلاماً وأكرمُهُم أحساباً ، وأوسطُهم داراً ، وأحسنُهم وجوهاً ، وأكثرُ النّـاسِ ولادةً في العرب ، وأمسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ ، أسْلَمْنا قبْلَكُم ، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم فقالَ تباركَ وتعالى : ﴿ والسَّابقونَ الأولونَ من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ ﴾ فنحنُ المهاجرون وأنتمُ الأنصارُ ، إخوانُنا في الدِّين ، وشركاؤنا في الفَيْء[1] ، وأنصارُنا على العدوّ ، آويتم وواسيتم فجزاكُم الله خيراً ، فنحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراء ، لا تَدينُ العربُ إلا لهذا الحيِّ من قريش فلا تَنْفَسوا[2] على إخوانكم المهاجرين ما مَنَحهم اللهُ مِن فضلِه .

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٦٢/١

(☆) هو عبد الله بن أبي قحافة ، صحابي جليل ، ولد بعد مولد الرسول ﷺ بسنتين وبضعة أشهر ، ونشأ في مكة مضرب المثل في الخلق والحلم والعفة . صحب الرسول الكريم ﷺ قبل البعثة وآمن بما أنزل عليه وصدّقه حتى سُمّي الصِّدّيق . شهد مع الرسول أكثر الغزوات ، وبذل في سبيل الإسلام مالاً كثيراً . كان ثاني اثنين مع الرسول حين الهجرة إلى المدينة . صار خليفة لرسول الله بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . عرف بالفصاحة وكان أعلم القوم بالأنساب والأيام . توفي سنة ١٣ هـ .

(١) الغنيمة والخراج .

(٢) نفس عليه خيراً حسده عليه ، ولم يَرَه له أهلاً .

- ٣ -

خطبَ الإمـامُ عليّ بن أبي طـالب[☆] النـاس يحثُّهم على الجهـاد ويقرّعهم لتخـاذلهم عنه :

أمّا بعدُ فإنّ الجِهادَ بابٌ مِن أبوابِ الجنّةِ فتحه اللهُ لخاصّةِ أوليائِه . وهو لباسُ التقوى ودِرعُ اللهِ الحصينةُ ، وجُنّتُهُ الوثيقةُ[١] ، فمَن تركَهُ رغبةً عنهُ ألبسَهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ وشَمْلَةَ البلاءِ . ودُيِّثَ بالصَّغارِ والقَمَاءِ[٢] ، وضُرِبَ على قلبه بالأسدادِ[٣] ، وأُدِيلَ الحقُّ منه بتضييعِ الجهادِ ، وسِيمَ الخسفَ ، ومُنِعَ النَّصَفَ[٤] .

ألا وإنّي قد دَعَوتُكُمْ إلى قِتالِ هؤلاءِ القومِ ليلاً ونهاراً ، وسِرّاً وإعلاناً ، وقلتُ لكُم : اغزوهُمْ قبلَ أنْ يغزوكم ، فواللهِ ما غُزِيَ قومٌ قطُّ في عُقْرِ دارِهم إلاّ ذَلّوا[٥] ، فتواكلتُم وتخاذلتُم حتّى شُنّتْ عليكم الغاراتُ[٦] ، ومُلِكتْ عليكُم الأوطانُ .

هذا أخو غامدٍ قد وَرَدَت خَيلُهُ الأنبارَ[٧] ، وقد قَتَلَ حسّانَ بنَ حسّانَ البكريَّ ،

(☆) هو عليّ بن أبي طالب ابن عمّ الرسول ﷺ . ولد قبيل البعثة بتسع سنوات ، ونشأ في بيت الرسول ﷺ . كان شجاعاً بليغاً وسيّداً من سادات المهاجرين . تزوّج فاطمة بنت محمد عليه الصّلاة والسلام ، وأنجب منها الحسن والحسين ، بويع بالخلافة بعد استشهاد عثمان عام ٣٥ هـ ، فثار بنو أمية في وجهه مع بعض أصحاب المنافع . وبقي يجالد عن حقّه الأمويين والثائرين من الخوارج حتى لقي وجه ربّه شهيداً على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ .

(١) جُنّته : وقايته .

(٢) ديّث : ذلّل . القَماء : الذلّ .

(٣) الأسداد : الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد .

(٤) سيم الخسف : كلّف المشقة . النَّصف : العدل .

(٥) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٦) تواكلتم : ألقى كلّ منكم الأمر إلى صاحبه . شُنّت عليكم الغارات : أتتكم متفرقة من كلّ جانب .

(٧) أخو غامد : سفيان بن عوف بعثه معاوية لشنّ الغارات على العراق . الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات .

وأزالَ خيلكم عن مسالِحها[(١)] . ولقد بلغني أنَّ الرَّجلَ منهم كان يدخلُ على المرأةِ المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينتزعُ حِجْلَها وقُلْبَها ورِعاثَها[(٢)] ، ما تَمْنَعُ منه إلاَّ بالاسترجاعِ والاسترحام[(٣)] ، ثُمّ انصرفوا وافرين[(٤)] ، ما نالَ رجلاً منهم كَلْم[(٥)] ، ولا أُريقَ لهم دَمٌ ، فلو أنَّ مسلماً ماتَ من بعد هذا أسفاً ما كانَ به ملوماً ، بل كانَ به جديراً .

فيا عَجَباً ـ والله ـ يُميتُ القلبَ ويجلبُ الهمَّ ، اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلِهم ، وتفرُّقكم عن حقّكم ، فقُبْحاً لكم وتَرَحاً[(٦)] ، حين صِرْتُم غَرَضاً يُرمى : يُغارُ عليكم ولا تُغيرون ، وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون ، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَون .

فإذا أمرتكُم بالسَّيرِ إليهم في أيام الصَّيف قلتُمْ هذه حمَّارةُ القيظ[(٧)] ، أمْهِلْنا يَسَبّخْ عنّا الْحَرُّ[(٨)] ، وإذا أمرتكم بالسَّيرِ إليهم في الشّتاء قُلتُمْ هذهِ صبّارة القُرّ[(٩)] ، أمهلنا يَنْسَلِخ عنّا البردُ ، كلُّ هذا فِراراً من الحرِّ والقُرّ ، فأنتم ـ والله ـ من السَّيف أفرُّ .

يا أشباهَ الرِّجالِ ولا رجالَ ، حُلومُ الأطفالِ وعُقول ربَّات الحِجال[(١٠)] ، لَوَدِدْتُ أنّي لم أرَكُم ولم أعرفكم ! معرفةً والله جرَّتْ نَدَماً وأعقبت سَدَماً[(١١)]

---

(١) المسالح : ج مسلحة : وهي الثغر أو المرقب حيث يخشى مجيء الأعداء .

(٢) الحِجْل : الخلخال . القُلْب . السّوار . الرِّعاث : ج رعثة : القرط .

(٣) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء .

(٤) وافرين : تامين .

(٥) الكلم : الجرح .

(٦) الترح : الهمّ أو الفقر .

(٧) حمَّارة القيظ : شدّة الحرّ .

(٨) يسبخ : يخف ويسكن .

(٩) صبّارة القرّ : شدّة البرد .

(١٠) الحجال : ج حجلة : قبّة تضرب للعروس . وربّات الحجال : النساء .

(١١) السدم : الهمّ مع أسف أو غيظ .

قاتلكم اللهُ ، لقد ملأتم قلبي قَيْحاً ، وشَحَنْتُم صدري غيظاً ، وجرَّعتموني نُغَبَ التَّهْمَام أنفاساً[١] ، وأفسدتم عليَّ بالعصيان والخِذلان ، حتّى قالَتْ قريشٌ إنَّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاعٌ ولكن لا علمَ له بالحرب .

للهِ أبوهم ! وهلْ أحَدٌ مِنهم أشدُّ لها مِراساً[٢] ، وأقدمُ فيها مَقاماً مِنّي ؟! لقد نَهضْتُ فيها وما بَلَغتُ العِشْرين ، وهأنذا قد ذرَّفْتُ على السِّتين[٣] ، ولكن لا رأيَ لِمَن لا يُطَاعُ .

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٢٣٩/١ ـ ٢٤٥

---

(١) النغب : ج نغبة : وهي الجرعة . التهمام : الهم . أنفاساً : جرعة بعد جرعة .

(٢) المراس : المزاولة والمعاناة .

(٣) ذرفت على الستين : زدت عليها .

- ٤ -

كتبَ عمر بن الخطّاب[☆] إلى أبي موسى الأشعريّ يعرّفهُ أُصولَ الحكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ ، فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحْكَمةٌ[١] ، وسُنَّةٌ متَّبعـةٌ ، فـافْهَمْ إذا أُدْلِي إليـك[٢] فإنّه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نَفاذَ لَهُ ، آسِ[٣] بين النّاس في مَجْلِسك وَوَجْهِك حتّى لا يطمَعَ شريفٌ في حَيْفِكَ ، ولا يخافَ ضعيفٌ من جَوْرِك[٤] . البيِّنـةُ[٥] على مَنِ ادَّعى واليمينُ على مَنْ أنْكَرَ ، والصُّلحُ جائِزٌ بينَ المسلمين إلا صُلحاً حَرَّمَ حلالاً أو أحلَّ حراماً . ولا يَمْنَعَنَّك قضاءٌ قضيتَهُ بالأمسِ فراجَعْتَ فيه نَفْسَك ، وهُديتَ فيه لِرُشْدِك ، أنْ تَرْجِعَ عنه إلى الحقّ ، فإنّ الحقّ قديمٌ ، ومراجعةُ الحقّ خيرٌ من التّمادي في الباطل .

الفَهْمَ الفهمَ[٦] فيما يَتَلَجْلَجُ[٧] في صَدْرِك ممّا لم يبلُغْكَ في كتابِ الله ولا في سُنَّةِ رسولِ الله ، اعرفِ الأمثالَ والأشباهَ ، وقِسِ الأمورَ عِنْدَ ذلك[٨] ، ثم اعْمِد إلى أحبِّها إلى

(☆) هو عمر بن الخطّاب من بني عدي من قريش . عرف في الجاهلية بقوته وشجاعته وحزمه . دخل الإسلام قبل الهجرة بأربع سنين فعزّ به الدين الجديد استجابة لدعوة الرسول ﷺ . شهد مع الرسول جميع غزواته . عهد إليه أبو بكر بالخلافة من بعده فقام بأمر المسلمين خير قيام . وعرف بالعدل والرحمة والفصاحة والتذوق الأدبي . اغتاله أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣ للهجرة .

(١) محكمة : أحكمها الله في كتابه وقضى بها .

(٢) أدلي إليك : بُيِّن بَيْنَ يديك من الحجج .

(٣) آس بين الناس : سوِّ بينهم في المعاملة أي اجعل بعضهم لبعض أسوة .

(٤) الحَيف والجور بمعنى متشابه أي المَيْل عن العدل والاستقامة .

(٥) البيّنة : الحجة والدليل على الحق المدعى به .

(٦) الفهم الفهم : عليك بالفهم للوصول إلى الحكم المنصف .

(٧) يتلجلج : يضطرب ويحار . ومعنى العبارة : استخدم الفهم وما يهدي إليه العقل عند النص .

(٨) يوصيه بالقياس بعد أن أوصاه بالاجتهاد .

اللهِ ، وأشْبَهِها بالحقِّ فيما ترى واجعل للمدَّعي حقّاً غائباً أو بيّنةً ، أمَداً[1] ينتهي إليـه ، فإنْ أحْضَرَ بيِّنَتَـه أخَـذْتَ لَـهُ بحقّـه ، وإلاَّ وجَّهتَ عليـه القضـاء[2] . فـإنَّ ذلـك أنفى للشكِّ ، وأجلى للعَمى ، وأبلغُ في العُذْر .

المسلمون عُدول[3] بعضُهم على بعضٍ ، إلا مجلوداً في حـدٍّ[4] أو مُجرَّبـاً عليـه شهـادةَ زُورٍ أو ظنينـاً في ولاءٍ أو قرابـةٍ ، فـإنَّ اللهَ قـد تـولَّى منكُمُ السَّرائِرَ ، ودَرأ عنكُمْ بالبيِّنات والأيمان[5] .

ثُمَّ إيَّـاكَ والغَلَقَ[6] والضَّجَرَ ، والتَّـأذِّيَ بـالنَّـاس ، والتَّنكُّرَ لِلْخُصوم[7] في مـواطِنِ الحقِّ التي يوجبُ اللهُ بها الأجْرَ ، ويُحْسنُ بها الذُّخْرَ ، إنَّه من يُخْلِصْ نِيَّته فيما بينه وبينَ اللهِ تباركَ وتَعالى ، ولو على نفسِهِ يَكْفِه اللهُ ما بينهُ وبينَ النَّاس . ومَنْ تَزَيَّن للناس بما يعلمُ اللهُ خِلافَهُ منه هَتَكَ سِتْرَهُ ، وأبدَى فِعْلَهُ ، فَمَا ظَنُّـكَ بثوابٍ عنـدَ الله[8] في عـاجِلِ رِزقِهِ وخزائنِ رَحْمته . والسَّلامُ عليكَ .

☆ ☆ ☆

الكامل للمبرد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د . ت ، ٩/١

---

(١) الأمد : الفسحة في الوقت أو المهلة .

(٢) وجَّهت عليه القضاء : حكمت عليه .

(٣) عَدول : ج عَدل : وهو الموثوق بشهادته .

(٤) المجلود : في حدّ ، الذي أوقعت به العقوبة المنصوص عليها شرعاً .

(٥) درأ عنه الضرر : دفعه عنه . والمعنى أن الله درأ عنكم العقوبة بما تبدونه من الحجج القاطعة أو باليمين .

(٦) الغلق : ضيق النفس عن الاحتمال .

(٧) التنكر للخصوم : التجهم للمتخاصمين والانصراف عنهم وعن الحكومة بينهم .

(٨) فما ظنك بثواب عند الله : أي فما ظنك بثواب تصيبه من عند الله بمقابل إخلاص النيّة ونقاء السريرة .

ـ ٥ ـ

خطب زياد بن أبيه(☆) حين ولي العراق :

أما بعدُ فإنّ الجهالة الجهلاء والضّلالة العمياء ، والغَيّ الموفي بأهله على النّار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم : من الأمور التي ينبُت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمديّ الذي لا يزول . إنّه ليس منكم إلاّ من طرَفت عينَه الدنيا وسدّت مسامعَه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تَسبقوا إليه : مِنْ ترْككم الضعيفَ يُقْهَر ، والضعيفةَ المسلوبة في النّهار لا تُنْصَر ، والعددُ غيرُ قليل ، والجمعُ غيرُ مفترق . ألم يكن منكم نُهاة يمنعون الغُواة عن دَلج الليل وغارة النهار ! قرّبتم القرابة ! وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتُغْضُون على النُكر . كلُّ امرئٍ منكم يردُّ عن سفيهه ، صُنْعَ مَنْ لا يخاف عقاباً ، ولا يرجو مَعاداً . فلم يزل بهم ما تَرَون من قيامكم دُونهم حتّى انتهكوا حُرَم الإسلام ثمّ أطرقوا وراءكم كُنوساً(١) في مكانس الرّيب . حرام عليّ الطعام والشراب حتّى أضعَ هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً ! إنّي رأيت آخر هذا الأمر لا يصلُح إلا بما صلُح به أوّله : لينٌ في غير ضعف ، وشدّة في غير عنف ، وإني لأقسم بالله لآخُذَنّ الوليّ بالمولى والمقيمَ بالظاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقى الرجلُ أخاه

(☆) هو زياد بن سُميّة ولد في السنة الأولى للهجرة ، ونشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً . صار كاتباً لأبي موسى الأشعري والي البصرة في عهد عمر بن الخطّاب ، فأظهر براعة وذكاء حتى ذهب أبو سفيان بن حرب إلى إلحاقه بنسبه مدّعياً أنه لم يستلحقه بنسبه أنفة من العار وخشية من عمر . تولّى لعليّ بن أبي طالب أعمالاً منها إخماد الاضطرابات في فارس وغيرها . وصار بعد ذلك والياً على البصرة وخراسان والكوفة لدى معاوية الذي اعترف به أخاً له . وطّد لمعاوية المُلك وشمل خوفه جميع الناس ، وتوفي سنة ٥٣ هـ .

(١) جمع كانس أي مستتر ـ ومكانس الرّيب مكامنها المستترة .

فيقول « انجُ سعدُ فقد هَلَكَ سعيد »[1] ، أو تستقيم لي قناتكم . إنَّ كِذْبَةَ الأمير بلقاء[2] مشهورة ، فإذا تعلَّقتم عليَّ بكِذبة فقد حلَّت لكم معصيتي . وقد كان بيني وبين قوم إحَنٌ[3] فجعلت ذلك دُبُرَ[4] أذني وتحت قدمي . إنِّي لو علمت أنَّ أحدَكم قد قتله السُّلُّ من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتَّى يُبْدِيَ لي صفحته فإذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ، فرُبَّ مبتئس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس ! أيُّها النَّاس إنا قد أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة[5] ، نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوَّلنا ، فلنا عليكم السمعُ والطَّاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلينا ، فاستوجبوا عدلنا وفَيْئَنا بمناصحتكم لنا ...

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٢/٢٥٧ ـ ٢٦١

---

(١) مثل يضرب في تتابع الشر .

(٢) أي كالدابة البلقاء لأن شيتها تشهرها .

(٣) أحقاد .

(٤) خلف .

(٥) مدافعين .

وخَطَبَ الحجَّاجُ بنُ يوسف[☆] النَّاسَ في مسجد الكوفة حين وليَ العراق :

أنا ابنُ جَلا وطلاَّعُ الثَّنايا متّى أضعِ العِمامةَ تعرفوني[١]

ياأهلَ الكوفةِ ، إنّي لأرى رؤوساً قد أيْنَعَتْ وحانَ قِطافُها[٢] وإنّي لصاحِبُها ، وكأنّي أنظرُ إلى الدّماء بينَ العمائمِ واللِّحى[٣] .

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدّي زِيَمْ قد لفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ[٤]

ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ[٥]

(☆) ولد سنة ٤١ هـ في مدينة الطائف ، سمّته أمه (كُلَيباً) ولقّبته بالحجّاج تفاؤلاً بأن يكون ورعاً كثير الحجّ . نشأ فصيحاً حافظاً للقرآن محترفاً للتعليم . طمح إلى المجد فترك تعليم الصنيان وانخرط في جيش يزيد بن معاوية وغيره من خلفاء بني أمية . عمل شرطياً تحت إمرة روح بن زنباع فأظهر قسوة وبأساً . وجّهه عبد الملك بن مروان إلى قتال عبد الله بن الزبير فنجح في إخماد ثورته وقتله سنة ٧٣ هـ . وولي أمر الحجاز واليمن بعد ذلك مدة عامين . ولما اشتدت الفتن في العراق بعد موت واليها بشر بن مروان أمره عبد الملك بالتوجّه إلى الكوفة والياً وقائداً مطلق الصلاحية ، فأبلى في قتال الخوارج بلاءً حسناً ، ووطّد لعبد الملك أركان الدولة مدة عشرين عاماً . توفي سنة ٩٥ هـ .

(١) هذا البيت لسُحيم بن وثيل الرياحي وقد تمثّل به الحجّاج . ابن جلا : من الجلاء والوضوح يريد أنه واضح الأمر . الثنايا : ج ثنيّة : الطريق في الجبل . يريد أنه رجل جلد يقوم على الشاق من الأمر . أضع : أنزل وأرفع .

(٢) أينعت : نضجت . قطافها : قطفها . يشبه الرؤوس بالثار اليانعة .

(٣) كناية عن الرقبة .

(٤) الشدّ : الاشتداد في السير . زيم : اسم فرس أو ناقة ، أو جمع زيمة وهي الجماعة من الإبل . لفّها : جمعها . الحطم : الذي لا يبقي من السير شيئاً .

(٥) الوضم : خشبة يقطع عليها اللحم . يشبّه الحجاج نفسه في الشدة والعنف بالرجل المقصود في هذين البيتين وهو شُرَيح بن ضُبَيعة وكان قد غزا اليمن بجموع من ربيعة فغنم وسبى ، وفي عودته ضلّ وجماعته الطريق ، وهلك منهم ناس كثير عطشاً ، فجعل شُرَيحٌ يسوق القوم سوقاً عنيفاً حتّى نجا من بقي معه ، فقال الشاعر وهو رُوَيشد بن رميض العنبري هذا الشعر فيه ، وصار يلقب بالحطم .

قـــد لَفّهـــا الليـــلُ بعَصْلبيٍّ   أروعَ خَرّاجٍ من الـــــدّويّ

مُهاجرٍ ليسَ بأعرابيّ[1]

قـد شَمَّرتْ عن ســاقهـا فشُـدُّوا   وَجَـدَّت الحربُ بكم فجِـدُّوا[2]

والقـــوسُ فيهـــا وَتَرٌ عُرُدٌّ   مثـلُ ذِراع البَكْر أو أشـــدُّ[3]

لا بُدَّ ممَّا ليسَ منه بُدٌّ[4]

إنّي واللهِ يـا أهـلَ العراق مـا يُقَعْقَع لي بـالشّنـان[5] ، ولا يُغْمَزُ جـانبي كتغماز التين[6] ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاءٍ[7] ، وفُتّشْتُ عن تجربةٍ وإنّ أميرَ المؤمنين[8] ـ أطـالَ اللهُ بقـاءَهُ ـ نثرَ كِنـانَتَـه بينَ يـديـه ، فَعَجم عِيْـدانَها[9] ، فـوَجـدني أمرَّها عـوداً وأصْلَبَها

(١) العصلبي : الشديد القوي . الأروع : الشجاع والذكي . الدوي : المنسوب إلى الدَّو وهو الصحراء التي لا يهتدي بها ولعله أراد بها الشدائد . ويريد بقوله : مهاجر ليس بأعرابي : أنه ذو خبرة لهجرته من البادية إلى المدن .

(٢) شمرت عن ساقها : الضمير عائد على الحرب . والتشمير عن الساق كناية أراد بها التهيؤ للأمر والانصراف إليه . جدّت : اشتدت .

(٣) العُرُدّ : الشديد . البَكْر : الفتي من الإبل .

(٤) يتمثل الحجاج بهذا الشعر ليحرض أهل العراق على قتال الخوارج ويخوّفهم من عصيان أوامر الخليفة .

(٥) القعقعة : صوت الأشياء اليابسة إذا حرّكت . الشنان : ج شن : الجلد اليابس . يقعقع للإبل فتنفر . والمثل يضرب لمن لا يرهبه الوعيد .

(٦) يغمز التين ليجفف : ويريد أنه لا يسهل التأثير فيه .

(٧) فرّ الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف سنّها . يريد أنه اختبر فوجد ذكياً .

(٨) أمير المؤمنين : عبد الملك بن مروان .

(٩) عجم العود : مضغه ليمتحن صلابته .

مكسراً[١] ، فرمـاكم بي ، لأنكم طـالمـا أوضعتّم في الفتنـة[٢] ، واضطجعتّمْ في مَراقـد الضّلال[٣] .

واللهِ لأحْزِمَنّكم حَزْمَ السَّلَمة[٤] ، ولأضْرِبَنّكم ضَرْبَ غرائِبِ الإبلِ[٥] ، فـإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رَغَداً من كلِّ مكانٍ ، فكَفَرت بـأنعُمِ اللهِ فأذاقَها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون[٦] . وإني والله ما أقولُ إلا وَفَيْتُ ، ولا أهُمُّ إلا أمْضَيت[٧] ، ولا أخْلُقُ إلا فَرَيْت[٨] ، وإنّ أميرَ المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجّهكم لِمحاربةِ عدوّكم مع المُهلب بن أبي صُفْرة[٩] ، وإني أقسمُ بـاللهِ لا أجدُ رجلاً تخلّفَ بعدَ أخذِ عطائِه بثلاثةِ أيامٍ إلا ضَرَبتُ عُنُقَهُ .

☆ ☆ ☆

جمهرة خطب العرب ، ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٧

---

(١) أمرّها : اقواها شبّه نفسه بـالسهم القوي ، وأراد أنّ أمير المؤمنين لم يختبره إلا بعد أن اختبر رجالاً كثيرين فوجده أصلحهم لهذا المنصب .

(٢) فرماكم بي : أرسلني إليكم . أوضعتم : أسرعتم من الإيضاع وهو ضرب من السّير السريع .

(٣) استعارة أراد بها تعودهم الضلال والمروق .

(٤) السَّلَمة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتضرب بـالعصي ليسقط الورق وتتهشم العيدان ، يريد لآخذنكم بالشدة .

(٥) تضرب الإبل الغريبة لترد عن الاختلاط بغيرها عند الورود .

(٦) الآية ١١٢ من سورة النحل . والقرية : مكة . الرغد : الواسع . وأذاقها لباس الجوع والخوف : استعارة يراد بها أنه أنزل الجوع والخوف بأهل مكة الذين كذبوا الرسول . وقد شبّه الحجاج حال أهل العراق بحال أهل مكة في العصيان وجحود النعم .

(٧) لا أهم بأمر إلا أنفذته .

(٨) خلق الأديم : قدره ليقطعه . فريت : قطعت . والجملة كناية عن عدم تردده أو إحجامه عن تنفيذ ما يهمّ به من الأمور .

(٩) الأعطيات : ج أعطية ، ج عطاء ، (هنا) ما يعطى المحارب من الأجر أراد بالعدوّ : الخوارج . والمهلب بن أبي صفرة : قائد الأمويين في قتال الخوارج .

- ٧ -

دخل أبو حمزة الخارجي[☆] مكة ـ وهو أحد نُسّاك الإباضيّة وخطبائهم ، واسمه يحيى بن المختار[١] ـ فصعد منبرها متوكئاً على قوسٍ له عربيّة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيُّها النّاس ، إنّ رسول الله ﷺ كان لا يتأخّر ولا يتقدّم إلا بإذن الله وأمره ووحْيه ، أنزَلَ الله كتاباً بَيّن له فيه ما يأتي ويتّقي ، ولم يكُ في شكٍّ من دينه ، ولا في شبهةٍ من أمره ، ثمّ قبضه الله وقد علّم المسلمين مَعالمَ دينِهم ، وولّى أبا بكر صَلاَتَهُم ، فولاّه المسلمون أمرَ دنْياهم حين ولاّه رسول الله أمرَ دينهم ، فقاتَلَ أهل الرِّدّة ، وعمِل بالكتاب والسُّنة ، فمَضَى لسبيلِه رحمةُ الله عليه .

ثمَّ وَلِيَ عمر بن الخطّاب رحمةُ الله ؛ فسار بسيرة صاحبه ، وعمِل بالكتاب والسُّنة ، وجَبَى الفَيء ، وفرَضَ الأعطية ، وجمع النّاسَ في شهر رمضان ، وجلد في الخمر ثمانين ، وغَزَا العَدُوّ في بلادهم ، ومضى لسبيله رحمةُ الله عليه .

ثمَّ وَلِيَ عثمانَ بن عفّان فسار سِتَّ سنينَ بسيرة صاحبيه ؛ وكان دونهما ، ثم سار في الستِّ الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثمّ مضى لسبيله .

ثمَّ وَلِيَ عليّ بن أبي طالب ، فلم يبلُغْ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مَناراً ، ثم مضى لسبيله .

(☆) هو المختار بن عوف الأزدي . ولد بالبصرة ، وكان خارجياً على مذهب الإباضية . دعا إلى الخروج على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وبايع عبد الله بن يحيى سنة ١٢٨ على الخلافة وسار معه إلى حضرموت . توجّه أبو حمزة من اليمن لقتال مروان فمرّ بمكه واستولى عليها ومرّ بالمدينة فقاتله أهلها لكنه دخلها عنوة . وما لبث أن أرسل مروان لقتاله نحواً من أربعة آلاف فارس ، فالتقى جيش مروان وأنصار أبي حمزة في وادي القرى سنة ١٣٠ هـ ، وانتهت المعركة بهزيمة أبي حمزة وقتله .

(١) الشائع أنه المختار بن عوف أو المختار بن عبد الله .

ثمَّ وَلِيَ معاوية بن أبي سفيان لَعِينُ رسول الله وابنُ لعينه ، فاتخَذَ عباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُوَلاً ، ودينَه دَغَلاً ، ثمَّ مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله .

ثمَّ وَلِيَ يزيدُ بن معاوية ، ويزيدُ الخمور ، ويزيدُ القرودِ ، ويزيدُ الفهود ، الفاسق في بطنه ، المأبونُ في فَرْجِه ، فعليه لعنة الله وملائكته .

ثمَّ اقتصَّهم خليفةً خليفة ، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ، ولم يذكره . ثمَّ قال :

ثمَّ وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك الفاسقُ في دينه ، المأبون في فرجه ، الذي لم يؤنس منه رُشْد ، وقد قال الله تعالى في أموال اليتامى : ﴿ فإنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فادْفَعُوا إليهم أمْوَالَهُمْ ﴾ ، فأمْرُ أمّةِ محمد عليه الصلاة والسلام أعظم . يأكل الحرامَ ، ويشرب الخمر ، ويلبس الحُلّة قُوِّمت بألف دينار ، قد ضُربَت فيها الأبشار[1] ، وهُتِكت فيها الأستار ، وأُخِذت من غير حِلِّها . حبابةٌ عن يمينه[2] ، وسَلاّمة عن يساره[3] تغنّيانه ، حتّى إذا أخذ الشرابُ منه كلَّ مأخذ قدَّ ثوبَه ، ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير ألا أطير ! نعم فَطِرْ إلى لعنة الله ، وحريقِ ناره ، وأليم عذابه .

وأمَّا بنو أميّة ففِرقةُ الضلالةِ ، بطشهم بطْشُ جَبَريّة ، يأخذون بالظِّنَّةِ ، ويقضُون بالهوى ، ويقتلون على الغَضب ، ويحكمون بالشَّفاعة ، ويأخذون الفريضةَ من غير موضعها ، ويضعونها في غير أهْلها ، وقد بيّن الله أهلَها فجعلَهم ثمانيةَ أصناف ، فقال : ﴿ إنّما الصَّدقاتُ لِلفُقَراء والْمَساكِينِ والعامِلينَ عَلَيها والْمُؤلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفي

(١) البشرة : ظاهر الجلد ، جمعها بَشَر ، وجمع بشر أبشار ، كشجرة وشجر وأشجار .

(٢) حبّابة : من مولدات المدينة وكانت جميلة حسنة الغناء . اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار .

(٣) سلامة هذه هي سلامة القسّ ، من مولّدات المدينة أيضاً ، أخذت الغناء عن معبد وابن عائشة فمهرت . سميت سلامة القسّ نسبة إلى عبد الرحمن بن أبي عمار الذي اشتهر بعبادته وكان شغف بها ، وقد اشتراها يزيد بن عبد الملك .

الرِّقَابِ والغَـارِمِينَ وَفِي سَبِيـلِ اللهِ وابنِ السَّبِيـلِ ﴾ . فـأقبـل صنفٌ تـاسـعٌ ليس منهـا فأخذها كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأمَّا هذه الشِّيع فشِيَعٌ ظاهرت بكتـاب الله ، وأعلنوا الفِريـة على الله ، لم يفـارقوا الناس ببصرٍ نافِـذٍ في الـدين ، ولا بعلمٍ نـافِـذٍ في القرآن ، ينقمون المعصية على أهلهـا ، ويعملـون إذا وُلُّـوا بهـا . يُصِرُّونَ على الفتنـة ، ولا يعرفـون المخرج منهـا ، جُفـاةٌ عن القرآن ، أتباعُ كُهَّانٍ ، يؤمّلون الدُّوَل في بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعـة إلى الـدُّنيـا ، قلَّدوا دينَهم رجلاً لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

ياأهل الحجاز ، أتُعَيِّرونني بأصحـابي وتزعمون أنَّهم شبـاب ؟! وهل كان أصحـابُ رسول الله ﷺ إلا شباباً . أمـا والله إني لعـالمٌ بتتـايعكم[1] فيما يضرُّكم في مَعـادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركتُ الأخْـذَ فوق أيـديكم . شبـابٌ والله مُكتهلون في شبـابهم ، غَبِيَّةٌ[2] عن الشَّرِّ أعينُهم ، ثقيلـةٌ عن البـاطل أرجلُهم ، أنضـاءُ عبـادةٍ وأطلاحُ سَهَرٍ[3] ، ينظر اللهُ إليهم في جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلَّما مرَّ أحدُهم بـآيـةٍ من ذكر الجنَّة بكى شوقاً إليها ، وإذا مَرَّ بآيةٍ من ذكر النَّـار شَهِق شَهقـة كأنَّ زفير جهنَّم بين أذنيـه . موصولٌ كَلالُهم بكلالهم : كَـلالُ الليـل وكـلال النهـار . قـد أكلت الأرضُ رُكَبَهم وأيـديَهم ، وأنـوفَهم وجبـاهَهم ، واستقلُّوا ذلـك في جَنْبِ الله ، حتَّى إذا رأوا السهامَ قد فُوِّقَت[4] ، والرِّماح قد أُشرِعَت ، والسيوفَ قـد انتُضِيَتْ ، ورَعَدت الكتيبـةُ

---

(١) التتايع ـ بالياء ـ التهافت والوقوع في الشَّرِّ خاصة .

(٢) أي عضيضة . وقد جاءت في إحدى النسخ .

(٣) أطلاح ، ج طِلح ـ بالكسر ـ وهو المعيي .

(٤) أي جعلت لها الأفواق ، والفُوق ـ بالضم ـ موضع الوتر من السهم .

بصواعق الموت وبرقت ، استخفُّوا بوعيد الكتيبة لوعْد الله ، ومضى الشابُّ منهم قُدُماً حتَّى اختلفت رِجلاه على عنق فرسه ، وتخضَّبت بالدِّماء محاسنُ وجهه فأسرعَتْ إليه سباعُ الأرض ، وانحطَّت عليهِ طيرُ السَّماء ، فكم من عينٍ في منقارِ طائرٍ طالما بكى صاحبُها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من كفٍّ زالت عن معْصَمِها طالما اعتمد عليها صاحبُها في جوف الليل بالسُّجود لله . ثم قال : آه آه (ثلاثاً) . ثم بكى ونَزَل .

☆ ☆ ☆

البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١٢٣/٢ ـ ١٢٥

فهرسة مختارة من مصادر الادب الإسلامي

أبو محجن الثقفي ، حياته وشعره ، دراسة وتحقيق محمود فاخوري ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية بجامعة حلب ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩

الأخطل شاعر بني أميّة للدكتور السيد مصطفى غازي ، دار المعارف بمصر ، ط ثانية ، د.ت .

الأخطل الكبير ، حياته وشخصيته وقيمته الفنية ، للدكتور فخر الدين قباوة ، دار الأصمعي بحلب ، ط أولى ، ١٣٩١ ـ ١٩٧١

الإسلام والشعر للدكتور سامي مكي العاني ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٦٦) ، حزيران ١٩٨٣

الأمالي لأبي علي القالي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦

البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط رابعة ، ١٩٧٥

تاريخ الأدب العربي لبلاشير ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط ثانية ، ١٩٨٤

تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري للدكتور نجيب البهبيتي ، دار الكتب ، مصر ، د.ت .

تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي للدكتور يوسف خليف ، ١٩٨٥

تطوّر الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس للدكتور جميل سعيد ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .

تطوّر الغزل بين الجاهلية والإسلام للدكتور شكري فيصل ، مطبعة دار الحياة ، ط ثالثة ، ١٣٨٤ ـ ١٩٦٥

التطوّر والتجديد في الشعر الأموي للدكتور شوقي ضيف ، ١٩٥٢
تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ، المجمع العلمي الإسلامي ، بيروت ، د.ت .
جرير لمحمد إبراهيم جمعة ، سلسلة نوابغ الفكر العربي (١٩) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥
جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ، البابي الحلبي بمصر ، ط أولى ، ١٣٥٢ ـ ١٩٢٣
الحبّ العذري ، نشأته وتطوّره للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٤٨
حسّان بن ثابت شاعر الرسول للدكتور سيد حنفي حسنين ، سلسلة أعلام العرب (٣٠) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د.ت .
حسّان بن ثابت لمحمد إبراهيم جمعة ، سلسلة نوابغ الفكر العربي (٣٤) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥
الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د.ت .
دراسات في الأدب الإسلامي للدكتور سامي مكي العاني ، دمشق ، ١٩٧٥
دراسات في تاريخ العصر الأموي للدكتور نبيه العاقل ، دمشق ، ١٩٨٥
ديوان جميل ، جمع وتحقيق الدكتور حسين نصّار ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، د.ت . و ط ثانية ، ١٩٦٧
ديوان الحطيئة ، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه ، البابي الحلبي بمصر ، ١٩٥٨
ديوان ذي الرّمة ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٢
ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠
ديوان الشمّاخ ، حقّقه وشرحه صلاح الدين الهادي ، مصر ١٩٦٨

ديوان الطرمّاح ، حقّقه الدكتور عزة حسن ، دمشق ، ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨
ديوان عبد الله بن رواحة ، جمعه حسن محمد باجودة ، القاهرة ، ١٩٧٢
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات ، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨
ديوان العجّاج ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، بيروت ١٩٧١ . وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، مكتبة أطلس ، دمشق ١٩٧١
ديوان العرجي ، شرحه وحقّقه خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد ١٩٥٦
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ثانية ١٩٦٠
ديوان الفرزدق ، تحقيق عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٦
ديوان كثيّر عزّة ، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١
ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦
ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فرّاج ، دار مصر للطباعة ، د . ت .
ديوان الوليد بن يزيد ، جمع وترتيب فرانشيسكو غابرييلي ، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧
شرح ديوان جرير ، جمعه وشرحه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت . وديوان جرير ، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩
شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري لعبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩ . وديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٤
شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠

شرح قصيدة كعب بن زهير للخطيب التبريزي ، حققها كرنكو ، قدّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ط أولى ، ١٣٨٩ ـ ١٩٧١

شرح الهاشميات للكميت بن زيد ، مطبعة التمدن ، ١٣٢٩ هـ .

شعراء أمويون للدكتور نوري حمودي القيسي ، مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٦

شعراء البلاط الأموي للدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٩٤٣

الشعراء الصعاليك في العصر الأموي للدكتور حسين عطوان ، مصر ، ١٩٧٠

الشعراء المخضرمون لعبد الحليم حفني ، القاهرة ، ١٩٨٣

شعر الأحوص ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠

شعر الأخطل ، صنعة السكري ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الأصمعي بحلب ، د . ت .

شعر الراعي النميري ، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٠

شعر الطبيعة في الأدب العربي للدكتور سيد نوفل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ثانية ، ١٩٧٨

شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، جمع وتحقيق سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧١

شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي ، جمعه وحقّقه مطاع طرابيشي ، دمشق ، ١٩٧٤

شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام للنعمان عبد المتعال القاضي ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥

شعر قيس بن ذريح ، تحقيق الدكتور حسين نصّار ، دار مصر للطباعة .

شعر الكميت بن زيد ، تحقيق الدكتور داود سلوم ، بغداد ، ١٩٦٩

شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، للدكتور يحي الجبوري ، بيروت ، ١٩٨١
شعر النابغة الجعدي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٩٦٤
الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ، ١٩٦٦
الشعر والغناء في المدينة ومكة للدكتور شوقي ضيف ، بيروت ، ١٩٦٧
طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحي ، شرح محمود محمد شاكر ، مصر ، ١٩٥٢
العشاق الثلاثة للدكتور زكي مبارك ، دار المعارف بمصر ، ط ثانية ، د . ت .
العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط ثالثة ، د . ت .
العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين ورفيقيه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ثانية ، ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥
الغزل للدكتور محمد سامي الدهان ، سلسلة فنون الأدب العربي ، دار المعارف بمصر ، الجزء الأول ، ط ثانية ، ١٩٦٤ ، والجزء الثاني ١٩٦٩
الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط التاسعة ، ١٩٧٦
الفنّ ومذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط الخامسة ، د . ت .
في الشعر الإسلامي والأموي للدكتور عبد القادر القط ، دار النهضة القومية ، بيروت ١٩٧٦
قيس ولبنى ، جمع وتحقيق الدكتور حسين نصّار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د . ت .
الكامل في الأدب للمبرّد ، تحقيق زكي مبارك ، القاهرة ١٩٣٧ . والكافي في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦
كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ، (٢٤) جزءاً ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول للدكتور شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، ط خامسة ، ١٩٨١

المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك ، دار الشعب ، القاهرة ١٣٩١ ـ ١٩٧١

معجم الأدباء لياقوت الحموي ، طبعة أحمد فريد الرفاعي ، مصر ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨

معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧

« الموقف النقدي من الشعر الإسلامي في عصر المخضرمين » للدكتور طيبة البودي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد (٢١) ، العدد الثاني ، الكويت ١٩٩١

نقائض جرير والأخطل لأبي تمّام ، نشر الأب أنطوان صالحاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٢

نقائض جرير والفرزدق ، ليدن ١٩٠٥

الهجاء والهجّاؤون في صدر الإسلام للدكتور محمد محمد حسين ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .

الوسيط في الأدب العربي وتاريخه لأحمد الإسكندري ومصطفى عناني ، مطبعة المعارف بمصر ، ط سادسة ، ١٩٢٧

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

يضمُّ مجموعة من الاختيارات الأدبية الّتي تمثّل صورة عامة للأدب في العصر الإسلامي . وقد روعي فيها أن تكون معبّرة عن مراحل الأدب الزّمنيّة من جهة وعن اتجاهاته الموضوعيّة من جهة أخرى .

وقد جعلت هذه الاختيارات في فصلَيْن : خُصّص الأول منهما للنّصوص الشّعريّة ، على حين خُصّص الثّاني للنّصوص النثريّة . والنّصوص بنوعيها الشعري والنّثري هي من عيون الأدب الّتي أجمعت الآراء على جودتها وأهميتها .

ولما كانت النّصوص موجّهة للدّارسين والطّلبة فقد ضُبطَت ضبطاً دقيقاً وشُرحت مفرداتها شرحاً مناسباً ، كما مُهّد لها بذكر المناسبة ، وما يتصل بالنّصّ من ظروف معينة على فهمه ووضعه في موضعه .